توفيق الحكيم

الأحاديث الأربعة

والقضايا الدينية التي أثارتها

ملتزم الطبع والنشر
مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز ت ٩١٩٣٧٧
٤٢ ميدان الأوبرا - ت ٩٢٠٨٦٨
المطبعة النموذجية
٦ سكة الشابوري بالحلمية الجديدة

توفيق الحكيم

الأحاديث الأربعة

والقضايا الدينية التي أثارتها

ملتزم الطبع والنشر
مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز ت ٩١٩٢٧٧
٤٢ ميدان الأوبرا – ت ٩٢٠٨٦٨
المطبعة النموذجية
٦ سكة الشابوري بالحلمية الجديدة

رقم الإيداع ٣٨٣٦ / ١٩٨٣
الترقيم الدولى ٤ / ٠٠٢ / ٤٧٢ / ٩٧٧ ISBN

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ
وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ

صدق الله العظيم (سورة هود : ٨٨)

كتب للمؤلف نشرت باللغة العربية

(١) محمـد ص (سيرة حوارية) ١٩٣٦
(٢) عودة الروح (رواية) ١٩٣٣
(٣) أهـل الكهف (مسرحية) ١٩٣٣
(٤) شهرزاد (مسرحية) ١٩٣٤
(٥) يوميات نائب فى الارياف (رواية) ١٩٣٧
(٦) عصفور من الشرق (رواية) ١٩٣٨
(٧) تحت شمس الفكر (مقالات) ١٩٣٨
(٨) أشعب (رواية) ١٩٣٨
(٩) عهد الشيطان (قصص قصيرة) ١٩٣٨
(١٠) حمارى قال لى (مقالات) ١٩٣٨
(١١) براكسا أو مشكلة الحكم (مسرحية) ١٩٣٩
(١٢) راقصة المعبد (رواية قصيرة) ١٩٣٩
(١٣) نشيد الانشاد (كما فى التوراة) ١٩٤٠
(١٤) حمـار الحكيم (حوار) ١٩٤٠
(١٥) سلطان الظلام (قصص) ١٩٤١
(١٦) من البرج العاجى (مقالات) ١٩٤١
(١٧) تحت المصباح الأخضر (مقالات) ١٩٤٢
(١٨) بجماليون (مسرحية) ١٩٤٢
(١٩) سليمان الحكيم (مسرحية) ١٩٤٣
(٢٠) زهرة العمر (سيرة ذاتية ــ رسائل) ١٩٤٣

(٢١) الرباط المقدس (رواية) ١٩٤٤
(٢٢) شجرة الحكم (مقالات) ١٩٤٥
(٢٣) الملك أوديب (مسرحية) ١٩٤٩
(٢٤) مسرح المجتمع (٢١ مسرحية) ١٩٥٠

من وحى أخلاق المجتمع (بين يوم وليلة) قصة تمثيلية فى منظرين — من وحى الطبائع البشرية (أريد أن أقتل) قصة تمثيلية فى فصل واحد — من وحى الحركة النسوية (النائبة المحترمة) تمثيلية فى منظرين — — من وحى الحياة الزوجية (أصحاب السعادة الزوجية) تمثيلية فى فصل واحد — من وحى حرب فلسطين (ميلاد بطل) تمثيلية فى منظرين — من وحى رجال الاعمال وصراع الاجيال (اللص) تمثيلية فى أربعة فصول — من وحى حرية المرأة (أريد هذا الرجل) تمثيلية فى فصل واحد — من وحى الصحافة والسياسة (عرف كيف يموت) قصة تمثيلية فى فصل واحد — من وحى السينما والدين (المخرج) قصة تمثيلية فى فصل واحد — من وحى أخلاق الحرب (عمارة المعلم كندوز) قصة تمثيلية فى فصل واحد — من وحى المال والحب (الكنز) قصة تمثيلية فى فصل واحد — من وحى المعتقدات الشعبية (بيت النمل) تمثيلية فى فصل واحد — من وحى الاداة الحكومية (أعمال حرة) قصة تمثيلية فى فصل واحد — من وحى الحوادث الجارية (ساحرة) قصة تمثيلية فى فصل واحدا — النماذج البشرية (الحب العذرى) قصة تمثيلية فى

فصل واحد — من وحى الحيــاة العصرية (الجياع) تمثيلية فى فصل واحد — من وحى الحياة الفنية (العش الهادىء) قصة تمثيلية فى أربعة فصول — من وحى الاخلاق والوصولية (مفتاح النجاح) قصة تمثيلية فى فصل واحد — من وحى تيار المجتمع (الرجل الذى صمد) قصة تمثيلية فى فصل واحد — من وحى المجتمع والعلم الحديث (لو عرف الشباب) قصـــة تمثيلية فى أربعة فصول — من وحى العــادات الريفية (أغنية الموت) قصة تمثيلية فى فصل واحد .

(٢٥) فن الادب (مقالات) ١٩٥٢
(٢٦) عدالة وفن (قصص) ١٩٥٣
(٢٧) أرنى الله (قصص قصيرة) ١٩٥٣
(٢٨) عصا الحكيم (مقالات حوارية) ١٩٥٤
(٢٩) تأملات فى السياسة (فكر) ١٩٥٤
(٣٠) الايدى الناعمة (مسرحية) ١٩٥٩
(٣١) التعادلية (فكر) ١٩٥٥
(٣٢) ايزيس (مسرحية) ١٩٥٥
(٣٣) الصفقة (مسرحية) ١٩٥٦
(٣٤) المسرح المنوع (٢١ مسرحية) ١٩٥٦

سر المنتحرة / من أربعة فصــول (١٩٢٩) — حياة تحطمت / من مقدمة وأربعة فصــول وخمسة مناظر (١٩٣٠) — رصاصة فى القلب / ثلاثة فصول (١٩٣١) — الايدى الناعمة / أربعة فصول (١٩٥٤) — الخروج من الجنة / ثلاثة فصول (١٩٢٨) — صاحب الجلالة

خمســـة فصول (١٩٥٥) — المرأة الجديدة / ثلاثة فصول (١٩٢٣) — الصندوق / فصل واحد (١٩٤٩) — الزمار فصل واحد (١٩٣٢) — جنسنا اللطيف / فصل واحد (١٩٣٥) — نهر الجنون / فصل واحد (١٩٣٥) — حديث صحفى / فصل واحد (١٩٣٨) — دقت الساعة فصل واحد (١٩٥٠) — الشيطان فى خطر / فصل واحد (١٩٥١) — لكل مجتهد نصيب / فصل واحد (١٩٥١) — بين الحرب والسلام / فصل واحد (١٩٥١) — لا تبحث عن الحقيقة / فصل واحد (١٩٤٧) — أمام شباك التذاكر / فصل واحد (١٩٢٦) — نحو حياة أفضل / فصل واحد (١٩٥٥) — صلاة الملائكة / فصل واحد وستة مناظر (١٩٤١) — كل شىء فى محله / فصل واحد (١٩٦٦)

(٣٥) لعبة الموت (مسرحية) ١٩٥٧

(٣٦) أشواك السلام (مسرحية) ١٩٥٧

(٣٧) رحلة إلى الغد ١٩٥٧

(٣٨) السلطان الحائر (مسرحية) ١٩٦٠

(٣٩) يا طالع الشجرة (مسرحية) ١٩٦٢

(٤٠) الطعام لكل فم (مسرحية) ١٩٦٣

(٤١) رحلة الربيع والخريف (شعر) ١٩٦٤

(٤٢) سجن العمر (ذكريات) ١٩٦٤

(٤٣) شمس النهار (مسرحية) ١٩٦٥

(٤٤) مصير صرصار (مسرحية) ١٩٦٦

(٤٥) الورطة (مسرحية) ١٩٦٦

(٤٦) ليلة الزفاف (قصة) ١٩٦٦
(٤٧) قالبنا المسرحى (دراسة) ١٩٦٧
(٤٨) بنك القلق (رواية مسرحية) ١٩٦٧
(٤٩) مجلس العدل (مسرحية) ١٩٧٢
(٥٠) رحلة بين عصرين (ذكريات) ١٩٧٢
(٥١) حديث مع الكوكب (حوار فلسفى) ١٩٧٤
(٥٢) الدنيا رواية هزلية (مسرحية) ١٩٧٤
(٥٣) عودة الوعى (ذكريات سياسية) ١٩٧٤
(٥٤) فى طريق عودة الوعى (ذكريات سياسية) ١٩٧٥
(٥٥) الحمـــــير (مسرحية) ١٩٧٥
(٥٦) ثورة الشباب (قصة) ١٩٧٥
(٥٧) بين الفكر والفن (مقالات) ١٩٧٦
(٥٨) أدب الحياة (مقالات) ١٩٧٦
(٥٩) مختار تفسير القرطبى (مختار التفسير) ١٩٧٧
(٦٠) تحديات سنة ٢٠٠٠ (مقالات) ١٩٨٠
(٦١) ملامح داخلية (حوار مع المؤلف) ١٩٨٢
(٦٢) التعادلية مع الاسلام والتعادلية (فكر) ١٩٨٣
(٦٣) الأحاديث الأربعة (فكر) ١٩٨٣

كتب للمؤلف نشرت فى لغة أجنبية

شهرزاد	ترجم ونشر فى باريس عام ١٩٣٦ بمقدمة لجورج لـكونت عضو الأكاديمية الفرنسية فى دار نشر (نوفيل إديسيون لاتين) وترجم إلى الإنجليزية فى دار النشر (بيلوت) بلندن ثم فى دار النشر (كراون) بنيويورك فى عام ١٩٤٥ . وبأمريكا دار نشر (ثرى كنتننتز بريس) واشنطن ١٩٨١ .
عودة الروح	ترجم ونشر بالروسية فى لينتجراد عام ١٩٣٥ وبالفرنسية فى باريس عام ١٩٣٧ فى دار (فاسكيل) للنشر وبالإنجليزية نشرت مختارات منه فى لندن عام ١٩٤٢ .
يوميات نائب فى الأرياف	ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٣٩ (طبعة أولى) وفى عام ١٩٤٢ (طبعة ثانية) وفى عام ١٩٧٤ و ١٩٧٨ (طبعة ثالثة ورابعة بدار بلون بباريس). وترجم ونشر بالعبرية عام ١٩٤٥ وترجم ونشر باللغة الانجليزية فى دار (هارفيل) للنشر بلندن عام ١٩٤٧ وترجم إلى الأسبانية فى مدريد ١٩٤٨ وترجم ونشر فى السويد عام ١٩٥٥ ، وترجم ونشر بالألمانية عام ١٩٦١ وبالرومانية عام ١٩٦٢ وبالروسية عام ١٩٦١
أهل الكهف	ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤٠ بتمهيد تاريخى لجاستون فييت الأستاذ بالكوليج دى فرانس ثم ترجم إلى الإيطالية بروما عام ١٩٤٥ وبميلانو عام ١٩٦٢ وبالأسبانية فى مدريد عام ١٩٤٦

(تابع) كتب للمؤلف نشرت فى لغة أجنبية

عصفور من الشرق	ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤٦ طبعة أولى . ونشر طبعة ثانية فى باريس عام ١٩٦٠
عدالة وفن	ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس بعنوان (مذكرات قضائى شاعر) عام ١٩٦١ .
بجماليون	ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .
الملك أوديب	ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ وبالإنجليزية فى أمريكا بدار نشر (ثرى كنتننتز بريس) بواشنطن ١٩٨١ .
سليمان الحكيم	ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ وبالإنجليزية فى أمريكا بدار نشر (ثرى كنتننتز بريس) بواشنطن ١٩٨١ .
نهر الجنون	ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .
عرف كيف يموت	ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .
المخرج	ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .
بيت النمل	ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ . وبالإيطالية فى روما عام ١٩٦٢ .
الزمار	ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .
براكسا أو مشكلة الحكم	ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .
السياسة والسلام	ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ وبالإنجليزية فى أمريكا بدار نشر (ثرى كنتننتز بريس) بواشنطن ١٩٨١ .

كتب للمؤلف نشرت فى لغة أجنبية (تابع)

شمس النهار	ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كنتننتز) واشنطن عام ١٩٨١
صلاة الملائكة	ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كنتننتز) واشنطن عام ١٩٨١
الطعام لكل فم	ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كنتننتز) واشنطن عام ١٩٨١
الأيدى الناعمة	ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كنتننتز) واشنطن عام ١٩٨١
شاعر على القمر	: ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كنتننتز) واشنطن عام ١٩٨١
الورطة	: ترجم ونشر بالانجليزية فى أمريكا (ثرى كنتننتز) واشنطن عام ١٩٨١
الشيطان فى خطر	: ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠
بين يوم وليلة	: ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ وبالاسبانية فى مدريد عام ١٩٦٣
العش الهادىء	: ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤
أريد أن أقتل	: ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤
الساحرة	: ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٣

(تابع) كتب للمؤلف نشرت فى لغة أجنبية

دقت الساعة : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤

أنشودة الموت { ترجم بالإنجليزية فى لندن هاينمان عام ١٩٧٣
وبالأسبانية فى مدريد عام ١٩٥٣ }

لو عرف الشباب : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤

الكنز : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤

رحلة إلى الغد { ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٦٠
وبالإنجليزية فى أمريكا بدار نشر (ثرى كنتننتز
بريس) بواشنطن عام ١٩٨١ }

الموت والحب ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٦٠

السلطان الحائر { ترجم ونشر بالإنجليزية لندن هاينمان عام ١٩٧٣
وبالإيطالية فى روما عام ١٩٦٤ }

يا طالع الشجرة { ترجمة دنيس جونسون دافيز ونشر بالإنجليزية فى لندن
عام ١٩٦٦ فى دار نشر أكسفورد يونيفرستى بريس }

(الترجمات الفرنسية عن دار نشر « نوفيل إيديسيون لاتين » بباريس)

مصير صرصار : ترجمة دنيس جونسون دافيز عام ١٩٧٣

مع { كل شىء فى مكانه
السلطان الحائر
نشيد الموت }

لنفس المترجم عن دار نشر هانيمان — لندن

(تابع) كتب للمؤلف نشرت فى لغة أجنبية

الشهيد	ترجمة داود بشاى (بالإنجليزية) جمع محمود النزلاوى تحت عنوان «أدبنا اليوم» مطبوعات الجامعة الأمريكية بالقاهرة — ١٩٦٨
محمد ﷺ	ترجمة د . إبراهيم الموجى ١٩٦٤ (بالإنجليزية) نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية طبعة ثانية مكتبة الآداب ١٩٨٣
المرأة التى غلبت الشيطان	ترجمة توبليت إلى الألمانية عام ١٩٧٦ ونشر روتن ولونتج ببرلين .

بعض المراجع (*) الأجنبية عن فكر المؤلف

Philosophical concepts in five plays by the Egyptian dramatist TAWFIK AL HAKIM Aly Moh. Hamed Denver University Ph. D. 1968

Le Théatre Philosophique de TAWFIK H. CRITIQUE Novembre 1952

Mort Resurrection Une lecture de TAWFIK AL HAKIM JEAN FONTAINE Bouslama Tunis 1978

Plays Prefaces & Postcripts of TAWFIK H. Vol. 1 Theatre of the Mind — W. M. HUTCHINS Three Continents Press 1981 U. S. A.

TAOUFIK AL HAKIM Bibliografitcheskii Ukazateli MOSCOU 1968/Le Livre K. O. YONUZOV

Dramaturgia TAOUFIKA AL HAKIMA MOSCOU 1976 Le Livre K. O. YONUZOV

Influences étrangères dans l'œuvre de T. H. Ahmed Yassine Maitrise es, lettres ALEXANDRIE Juin 1972

(*) إلى جانب المراجع والدراسات العربية القيمة عن فكر المؤلف وهي معروفة للقارىء العربي الكريم .

الأحاديث الأربعة

هذا الكتاب « الأحاديث الأربعة » يضم الأحاديث التى نشرت بعنوان : « مع وإلى الله » والتى أثارت الضجة المعروفة بين الناس ... مع أنها لم تخرج عن كونها نوعاً من المناجاة مع الله تعالى ... أستدرك وأقول : « إنها مناجاة بلغتى الخاصة ، وثقافتى الخاصة ، تعبيراً عن حبى الخالص لربى »(١) ؛ فان أقبل الفكر الذى يصدر بلا تفكر عن غير عقلى الذى خلقه الله ليفكر ، ولا أرتدى بلا مناقشة ما خرج من قلب وعقل الآخرين دون تأمل فيه وتمحيص ...

أما الضجة التى حدثت فهى طارئة ودخيلة على القضية التى سأفرد لها مكاناً نظراً لأهميتها ...

هذا وقد رأيت عند إعادة الطبع فى هذا الكتاب إستبعاد كل الكلمات والأسطر التى كتبت تخيلاً منسوبة إلى الله ، مراعاة للحساسية الدينية التى لا أريد إطلاقاً أن تسبب إزعاجاً لأى مؤمن ... كما حرصت على تخريج الأحاديث الشريفة والأفكار التى وردت فى الأحاديث الأربعة والتى قال عنها بعض العلماء إنها أحاديث موضوعة ، ضعيفة ، أو غير موجودة ، فعدت إلى المصادر التى استقيتها منها فإذا بها أحاديث حسنة الإسناد لا يكاد يخلو منها كتاب من أمهات الكتب الإسلامية !!

والقضية التى يجب أن تناقش بجدية ، تتلخص فى أن بعض علماء الدين يريدون أن يكون لهم وحدهم حق تشكيل عقلية الأمة على أساس العلم الدينى الذى درسوه هم من الكتب المعتمدة لديهم طبقاً للنصوص التى قرأوها

وأقروها وحدها ... وقرأوها على طريقتهم ، أى منفصلة عما استجد فى العالم من معارف وإضافات .

ونراهم فى نفس الوقت لا يعترفون لمن ليس منهم بحق التوجيه والتشكيل لعقليـة الأمة على أساس العلم والثقافة العصرية ، بغير أن يكون هـذا الأساس العصرى خاضعاً لرقابتهم وموافقتهم ، وهم على ما هم عليه من انفصال عن حركة الفـكر فى أزمانه المتجددة ، دون تفريق بين الثابت فى الدين ، والمتغير بتغير الزمان والمـكان ... فى حين أن رجال الرأى والعلم يجـدون أن تشكيل عقلية الأمة يجب أن تسهم فيه كل العناصر الإنسانية القائمة على النشاط الذهنى والشعورى للإنسان : من عقيدة دينية ، وفكر علمى ، وأدب ، وفن ، وثقافة متجددة بتغير العصور من قديمة وحديثة ، ما دام الإسلام صالحاً لـكل زمان ومكان ...

والخـلاف الأساسى هنا بين بعض علماء الدين

ورجال الفكر المعاصر : هو أن علماء الدين هؤلاء يعتمدون فقط على العلم والثقافة التى كانت موجودة فى عهد النبوة بأسانيدها المعتمدة عن هذه الفترة ...

أما رجال الفكر ، فيعتمدون على ذلك أيضاً ، ويضيفون إليه كل ما وصلت إليه العهود الحديثة من علم وثقافة ...

إن تراث الأقدمين ليس إلا إفراز عقول وقلوب بشرية عاشت فى ظل معطيات حضارية تختلف عن يومنا هذا بما حدث من إضافات الحياة المتجددة ...

وعليه فلا يجب أن نقف عند حدود تلك المعطيات الأولى وحدها ، ونجعلها قيداً لأفكارنا أو حداً لا نتخطاه ... فنظل مئات السنين ندور فى حلقة مفرغة حول عصر واحد فقط كأن الاسلام لا يصلح إلا له ولأفكاره وظروفه وحدها : وهو عصر الإسلام الأول ، نبنى عليه كل تفكيرنا ، وننسى أن الإسلام صالح لكل العصور

والأزمان ، لأنه من اليسر بحيث يصلح للحياة والتقدم في كل عصر وزمان ومكان ...

والله تعالى أكبر ، وعلمه أوسع ، ورحمته أعمق ، وغفرانه أرحب ...

توفيق الحكيم

شعبان ١٤٠٣ هـ

مايو ١٩٨٣ م

الحديث الأول

هذا الحديث مع الله ، لم أر مانعاً من نشره ، بإذن الله طبعاً ...

فأنت تعرف يا ربى أنه لم يبق لى وأنا فى آخر أيامى غيرك ...

وليس غيرك من أحب الحديث معه ، وأن يكون آخر ما أكتب هو هذا الحديث ...

ولا يسقط القلم من يدى إلا وهو يخط اسمك الأكرم ، سبحانك ، وأنت الذى أكرمت القلم وأقسمت به ...

وبإذنك ، أسألك أن يكون حديثى فى كل شىء شاهدته وفكرت فيه أثناء إقامتى فى هذه الدنيا ،

دون حرج . . . وأن تقوينى على نشره فى حلقات أسـبوعية ...

كل حلقة يوم ثلاثاء ...

ذكرى ابنى الوحيد ...

الذى ولد فى الشهر الثالث ...

وتوفى فى الثلاثين من عمره ...

يوم ثلاثاء . . .

والشـكر والحمد لك يا من نفسى بيده ...

﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثاً ﴾[2] .

(قرآن كريم)

نعم يارب ... لن أكتمك حديثاً ... ولم يبق لى فى حياتى الآن سوى الحديث معك ... فقد عشت الحياة التى قدَّرتها لى أكثر من ثمانين عاما ... جعلت أهيم خلالها فى كل واد ، حاملا قلماً أملأ به الأوراق بين جد وهزل ...

ولا أظن أنى فعلت بذلك خيراً كثيراً ... ولكنى أذكرك كثيراً ... وأتحدث إليك طويلا ... وأعلم أنك تسمعنى ... لأنك سميع بصير ...

ولكن الحديث معك ليس بيسير . . . لأنك عليم بكل شىء ... وما أقوله تعرفه ... وليس من حقى أن أسألك إجابة أو رداً . . . وليس لبشر أن تكلمه

أنت إلا وحيا ..ومن أكون أنا حتى تحدثنى أنت بالوحى !..

لن يقوم إذن بيننا حوار ، إلا إذا سمحت لى أنت بفضلك وكرمك أن أقيم أنا الحوار بيننا : تخيلا و تأليفا ... وأنت السميع ... ولست أنت المجيب ... بل أنا فى هذا الحوار المجيب عنك افتراضا ... وإن كان مجرد حديثى معك سيغضب بعض المتزمتين لاجترائى فى زعمهم على مقام الله سبحانه وتعالى ... خصوصاً وحديثى معك سيكون بغير كلفة ؛ أى من القلب الصافى وحده ، لا أتكلف فيه صنعة الأسلوب ... فأنا سأخاطبك مخاطبة الحبيب لحبيبه ؛ الحب الذى ليس كمثله حب ، لأنك أنت ليس كمثلك شىء ... وعندما سأل بعض المؤمنين نبيك ﷺ عما إذا كانوا سيرونك فى الآخرة [٢] لم يرد أن يخيب أملهم ؛ فلم يقل لهم : كيف ترون من ليس كمثله شىء ؟! وكيف وأنتم شىء أن تدركوا من ليس بشىء ؟! ... وكيف وأنتم بشر ترون بعيونكم البشرية ما لا تراه

العيون ! ؟ ... وهل سنبقى فى الآخرة بعيون وأجساد بشرية ؟ ... أظن أنهم لم يسألوا ذلك ...

والقرآن الكريم قد ذكر فى سورة الأعراف(٤) أن موسى قال : ﴿ رَبِّ أَرِنِى أنظرْ إليك ، قالَ : لنْ ترانى ولَكنْ انظرْ إلى الجبل فإن استقرَّ مكانه فسوْفَ ترانى فلما تجلَّى ربُّه للجبلِ جعله دَكا وخَرَّ موسى صَعِقا ﴾ ...

* * *

أما أنا ، فأسأل وأجيب : إن العالم الآخر عالم مستقل عن عالمنا الأرضى ، لن يكون رداؤنا فيه رداء بشرياً ، ولا قوانينه هى القوانين الأرضية ... وربما قصد العالم أينشتين(٥) بقانون النسبية شيئاً كهذا — وهو من العلماء القلائل المؤمنين بالله(٦) وليس كبقية العلماء الملحدين — لست أنسى قوله بالنص : « إنى أدين بالتبجيل كله لتلك القدرة العجيبة التى تكشف عن نفسها فى أضأل جزىء من جزيئات الكون » ! ... كما لا أنسى قول العالم المعاصر

« كاستلر [٧] » الذى يعمل حتى الآن فى كشف أسرار « المادة » ، وألّف كتاباً قال فيه : « إننا كلما أوغلنا فى دراسة المادة أدركنا أننا لم نعرف عنها شيئاً ... فسوف يظل دائماً شىء فيها مخفيا عنا » فلما سألوه : مخفى بمن ؟ أجاب : بالله ! ... ثم وصف متاعبه فى استمرار البحث بالقوانين المعروفة ، إذ اكتشف أنه بعد التوغل إلى أمد بعيد توقفت القوانين عن العمل ، وأنه دخل فى مرحلة لم تعد تسرى فيها هذه القوانين الطبيعية المعروفة فى الأرض ، مما جعله يسأل نفسه : أترى علم الفيزياء الذى نمارسه ليس فى الحقيقة علماً واحداً !! أى أنه يوجد علمان كل منهما يعمل مستقلا عن الآخر : علم للمرئيات ، وعلم للمخفيات ... أو بعبارة أخرى علم للمحسوسات أو لهذه الدنيا ، وعلم فيزياء آخر لغير المحسوسات ؛ أى لغير دنيا البشر ، أى للآخرة ... وكل منهما له قوانينه الخاصة التى لا تسرى إلا على عالمه ؟ ...

معنى ذلك عندى أن انتقالنا إلى العالم الآخر سيضعنا

فى عالم لا تخضع فيه للقوانين البشرية ... وقد جاءت إشارة إلى ذلك فى قرآنك الكريم يا ربى (سورة الطلاق) حيث قالت فى هذه الآية : ﴿ اللهُ الذى خَلق سَبعَ سموات ومن الأرض مثلهن ﴾[٨]. وجاء فى تفسير « القرطبى »[٩] نقلا عن « الماوردى »: على أنها سبع أرضين بعضها فوق بعض ، تختص دعوة أهل الإسلام بأهل الأرض العليا ، ولا تلزم مَن فى غيرها من الأرضين وإن كان فيها من يعقل من خلق مميز .

معنى ذلك أن الأديان نسبية تختص بها أرض دون أرض، لأن البشرية نفسها نسبية [١٠]... وكأنك ياربى تلمح إلى ما سوف يكتشفه العلماء بعد قرون فى شخص أينشتين .

كما أوحيت إلى رسولك محمد فى قرآنك بقولك : ﴿ إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ ﴾[١١] والخشية كما فسرها بعض المفسرين ترمز إلى التقدير والإجلال ؛ حتى لقد قال أبو حنيفة [١٢] فيمن قرأ ﴿ إنما يخشى اللهُ ﴾ بالرفع أى أن الله يخشى العلماءَ : أن فى هذه القراءة استعارة ؛ والمعنى أن

الله « إنما يجلهم ويعظم »... وسواء أكان التقدير والإجلال من العلماء لله ، أم من الله للعلماء ؛ فإن المعنى هو أن هناك اتصالا راقياً بين الخالق والمخلوق ... وهو جوهر العبادة الراقية للعقل الإنسانى الراقى ، بارتفاعه إلى حيث يدرك قدرة الخالق وعظمته ...

وليس أدل على ذلك الإدراك والإجلال من كلمة ذلك العالم « أينشتين » فى قوله : « إنى أدين بأعمق الإجلال والتعظيم لهذه القدرة العجيبة التى تفصح عن نفسها فى كل جزىء من جزيئات السكون » ... وكلمة « كاستلر » عندما قال : « كلما ازداد تعمقنا فى دراسة تركيب المادة تضاعف اقتناعنا بأننا ما عرفناها ... فإن جزءاً منها سوف يظل إلى الأبد بعيداً عن تعليلنا لأنه مخفى عنا ... مخفى بمن ؟ مخفى بالمبدأ الأوحد : الله ...

إن كل ما نعرفه عن العالم المحسوس لا قيمة له فى فهم العالم غير المحسوس ... وهكذا حيرة العلم والعلماء اليوم !

كلما توغلوا فى العلم اقتربوا من الخشوع لله ... وصدق
يارب ما أوحيت به فى قرآنك إلى نبيك ورسولك من أنك
تخشى من عبادك العلماء ... ولذلك أعتقد أنه من الطبيعى
والمنطقى أن مثل هؤلاء العلماء المؤمنين بك سوف يكون
مصيرهم مغفرتك وأنت الغفور(١٣) ...

والعلماء أقدر على إقناعنا بوجودك ووحدانيتك من
الفلاسفة الذين لا يعتمدون إلا على لغتهم وحدها وهى فى
الغالب عاجزة أو ملتوية ... ولنقرأ مايقوله « ابن سينا »(١٤)
مثلاً فى واجب وجودك : « إن واجب الوجود يجب
أن يكون ذاتاً واحدة ... والذى يجب وجوده بغيره
فهو غير بسيط الحقيقة ... لأنه ليس الفرد وغيره زوج
تركيبى ... الخ الخ ... »

* * *

ولكن الله فى حديثى هذا معه جعل يستمع فقط ...
وتركنى أواصل كلامى ... فقلت : ولكن يارب بعض

رجال الدين عندنا يرون غير ذلك ... يرون مصير هؤلاء العلماء من غير المسلمين النار لأنهم لم يقولوا لا إله إلا الله شهادة لغوية ... مع أن العلماء قالوها بالممارسة وليس باللفظ ... ومارسوا قدرة الخالق ووحدانيته فى أسلوبه المعجز فى خلق الكون وقوانينه التى تدل على أنه الواحد، وأن أسلوبه الواحد فى كل جزىء من جزيئات الخليقة لا يمكن أن يصدر عن غيره ... ومع ذلك سبق لك ياربى فى قرآنك أن حذرت من الغلو فى الدين (سورة المائدة)(١٥)، ولم يغفروا لمن قدرك، وهم لا يعرفون عنك إلا ما حفظوه من ألفاظ لغوية ... ولن يقدروك قدرك إلا بالاقتراب من أسرار خلقك ... ولن يتسنى ذلك إلا بلغة أخرى ... هى لغة القوانين العلمية ... ولذلك إذا سمحت لى بالتنبؤ فإنى أتنبأ بأن رجال دينك فى المستقبل سوف يكونون من بين رجال العلوم ... حتى يقتربوا منك عن طريق أسلوب الخلق وليس أسلوب اللغة وحده ...

وأنا آسف يارب أسفاً شديداً ، ولا اعتراض لى عليك ، ولكنها مجرد ملاحظة ، لماذا وأنا أحبك هذا الحب لم تعطنى لمعرفتك غير وسيلة اللغة ، ولم توجهنى إلى دراسة العلم ! بل لقد كنت أكره المواد العلمية وأرسب منذ الصغر فى دروس الحساب ! ...

* * *

بمناسبة الحساب ... يوم الحساب ... هل هذا الحساب للجميع ؟ طبعاً ... ألم يرد فى القرآن : ﴿ وما من دابةٍ فى الأرضِ ولا طائر يطير بجناحيه إلا أممٌ أمثالكم ما فرّطنا فى الكتاب مِن شىءٍ ثُمّ إلى ربهم يُحشرون ﴾[16] ...

يُحشرون ! ... نعم ... إذن هو يوم حشر لهم أيضاً ! ... لكن يا ربى هل هم لهم أخطاء ؟ ... طبعاً ، يجب أن أعرف ذلك ، أليسوا مخلوقات ؟ ! ما من مخلوق إلا وله أخطاؤه ...

ولكن هل الجميع ؟ ... حتى الأنبياء ؟ ...

أعتقد أن الأنبياء معصومون ... معصومون من الفعل ، وليس من النية ... لأن يوسف همت به وهمّ بها [17]... أي تمت النية ولكنه توقف عن الفعل ... لأنه رأى برهان ربه ، أي تدخلتَ أنت ياربي وعصمته عن الفعل ...

أنت تعصم مَن تحب عن الفعل ... أما النية فهي لصيقة الغريزة البشرية ...

وهل هناك حساب على النية ؟ ... طبعاً ... ولكنك غفور ... ولماذا الحساب إذن ؟ ... لأنه القانون ... أساس ونظام ... وأنت خالق الكون ... أي فوق القانون[18]...

لا ... بل أنت خالق القانون الذى يتم به تركيب الكون ... فإذا فسد القانون اختل تركيب الكون ... فأنت لست فوق القانون ... ولكنك الحريص عليه ... لأنه من خلقك ... ووليد حكمتك ... فعلاً ... حرصك ياربي على قانونك هو إرادتك العليا ... لأن جوهر إرادتك هي الكينونة ... هي الكون والوجود ، وخلود الوجود ...

ولذلك سلحت كل موجود بأدوات وجوده ... ولنا نحن البشر جعلت ياخالقنا الحبيب أدوات وجودنا : الدين ، والعلم ، والغريزة ... وما نسميه الغريزة هى معرفة تكونت فى أعماقنا منذ القدم ... وتكدست وتكلست ... وصارت تعمل تلقائياً مع وجودنا ... وأصبحت قوة لايصدُّ طغيانها إلا الدين والعلم ... أما إرادتك الإلهية ياربى فهى التعادلية بين الثلاثة ، فلا تطغى قوة على قوة ، بل يعمل الكل معاً فى بقاء الإنسان داخل نطاق التوازن الكونى والكينونة الكبرى ... وعبادتك يا ربى ، التى يجسدها الدين ، هدفها الحقيقى ليس الإحسان إليك ، لأنك قائم بذاتك لا تحتاج إلى أحد ولا إلى شىء ، فقد قلت فى قرآنك كثيراً :

﴿ إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها ﴾[19] ...

كما قلتَ : ﴿ مَن اهتدَى فإنما يَهتدي لنفسه ؛ ومَنْ ضَلَّ فإنما يضل عليها ﴾[20] ... لأن الله يعلم أن البشر ضعيف ولكى ينقذ وجوده من القوة الطاغية التى لشيطان الغريزة

المدمرة يجب أن يستمد قوة الوجود من الله الموجود الخالد ، بذكره دائماً ، والاستعانة به ضد قوة الجاذبية الغريزية المفسدة لتركيبه ... فالدين إذن أداة للإنسان ... ولم يوجده الله إلا أداة تحافظ على الإنسان باقياً ، ضمن التركيب الكونى الذى خلقه الله بقدرته وإرادته وحرص عليه ... فالدين للعابد لنفعه ، وليس للمعبود الغنى بنفسه .

وبعد ... إنى لا أحدثك إلا بما أنت أعلم به منى ... ولكن ، أوَ كان من الممكن أن أحادثك فيما لا علم لك به وأنت ياربى العظيم العليم بكل شىء ... ولكنك لا تسأم حديثى ، لأنك لا تعرف السأم ... فإنك سميع دائم السمع للغط مخلوقاتك الكثيرة ، من أبعد المجرات إلى أصغر الحشرات ...

الحديث الثانى

﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثًا ﴾

قرآن كريم

فلنواصل الحديث يا ربى العظيم ... لقد جاء فى قرآنك الكريم ذكر لأديانك الثلاثة وكتبها السماوية : التوراة والإنجيل والقرآن ... اسمح لى أن أسأل : أكان من الضرورى أن تنزل هذه الأديان والكتب الثلاثة ؟ ...

لا بد طبعاً أن يكون لذلك حكمة ... ولماذا أسأل ؟ لقد خلقتَ لى العقل ... وهو أعجب مخلوقاتك ... خلقته لنا لنفكر به فى حكمتك ...

ولقد فكرتُ ... ولكنى غير واثق برأيى ...

ما أقوله هو من عقلى ... والعقل الذى وضعته أنت

فى رأسى درجات ... وأنا أذكر ما ورد عنك سبحانك فى حديث قدسى خاطبتَ به العقل[٢١] : « ما خلقت خلقاً أعجب إلىَّ منك ، وعزتى وجلالى لأكملنك فيمن أحببتُ ولأنقصنك فيمن أبغضتُ » ، ولست أنا على ثقة من درجة حبك لى ، فكيف أثق إذن من درجة عقلى الذى سأفكر به فى شأن من شئونك ! ...

إيمانى بوحدانيتك نبع من إدراك عقلى لوحدانية أسلوبك ... فأسلوبك واحد لكل مخلوق حى : إنسان أو حيوان أو نبات ... أوجدتَ معه بوجوده نوعاً من المعرفة الذاتية التلقائية فى صورة الغريزة ... فأول ما يعرف هو أين يجد طعامه ؛ فيمد يده إلى ثدى أمه ... وأين يجد الخطر على حياته فيخاف من النار ...

لأن إرادتك العليا ياربى هى المحافظة على وجود ما أوجدته ...

وهذه المحافظة تحتاج إلى معرفة ... وهذه المعرفة

توجدها أنت فينا بالغريزة ، وأولى الغرائز فينا هى غريزة البقاء مقترن بك ...

ثم يتم الوليد مرحلة الولادة ويبدأ يحبو ، ثم يدخل مرحلة الإدراك الذى يخرجه من ذاته إلى ما حوله ، ثم إلى اللعب بما يقع فى يده ، وقد يحطمه ... ثم يقف على قدميه ويسير ، ويبدأ فى النطق والأسئلة عما يراه ، ويدخل فى الطفولة وينمو إدراكه مع عضلاته فيدفعه ذلك إلى النشاط فى صورة اللعب ... كل ذلك فى منطقة الحكم الغريزى الذى يُنمى فيه عضلاته ويربى فيه مداركه الأولى ، إلى أن يدخل فى مرحلة الصبا فيزداد إدراكه بنفسه وبالعالم الخارجى ، فيتلقى من أهله ومن أصدقائه ما يجعله يعيش فى مجتمع صغير له نظامه ومعتقداته ... إلى أن يخرج منه إلى مرحلة الشباب فتنمو فيه العاطفة ، وينمو فيه من المشاعر ما يُنتج لوناً من الحياة فيه جماله ومثالياته ، ثم يدخل بعد ذلك فى مرحلة الرجولة فيتم فيه العقل واستقراره ...

وعلى هذا الترتيب وهذا الأسلوب أنزلتَ أنت ياربى بحكمتك أديانك السماوية : أنزلتَ موسى والتوراة فى المجتمع الصغير بنظامه الطائفى وعقيدة الوحدانية التى تمت فى مرحلة الصبا الباكر للبشرية مع قوته المادية ، وكادت تطغى على قوة العاطفة ... فجاءت مرحلة الشباب بعاطفة الحب والمثل العليا فى شخص « المسيح » . . . إلى أن رأت حكمتك يا ربى أنه قد آن الأوان للبشرية أن تدخل مرحلة « الواقع » بمعرفتها الحقيقة ذاتها بالعقل ؛ فجئتَ برسولك محمد فى سن الأربعين مكتملاً بتجارب الحياة ممثلا للبشرية فى كل عناصرها وقلتَ له فى قرآنك : ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىّ﴾[٢٢] .

ومراحل البشرية هذه جاء وصفها فى كتابى « شهرزاد » ١٩٣٣ حيث جسدتُ الغريزة فى شخصية العبد ، وجسدتُ العاطفة والقلب فى شخصية قمر ، وجسدتُ العقل والفكر فى شخصية شهريار ، وفى آخر المرحلة العقلية طغى العلم ، فضَلّ الإنسان ... وكانت آخر كلمة شهرزاد « هو العمل

على إعادته إلى البشرية » وهو ما جاء به الإسلام قبل ذلك ، ولم يفطن إليه المسلمون .

ومرحلة البشرية هى آخر مراحل الإنسان ، وفى هذه المرحلة تكتمل فى الإنسان قوة تلك العضلة التى اسمها « العقل » الذى وصفته أنت يارب بأنه أعجب ما خلقتَ ، لأن الإنسان به يعى ذاته وما حوله من خلقك … ثم يحلل ماهية الأشياء والمخلوقات إلى أن يرقى إلى إدراك وجودك … وهذا الإدراك الذاتى بالعقل هو قدرة الإنسان التى أردتها له ، ويتميز به عن سائر وجودك بوسائل أخرى غير العقل والتفكير . . . ولذلك أنت يارب قد كررتَ ورددت فى قرآنك كلمة « البشر » وكلمة « العقل » . . . ولم تجعل رسولك محمداً يقنع البشر بالمعجزات ، كما كان الحال مع الأنبياء الذين سبقوه ، عندما كانت البشرية فى مراحل الطفولة والصبا والشباب ، ولم يكن قد حان الحين بعد لإقناع البشر بوجود الله ورسله بالإدراك

الفكرى وحده عن طريق العقل ... وهذه هى حكمتك ...

وقد نشرتُ فى أحد كتبى « سجن العمر » « إننا نولد فى غيبوبة تامة من عقولنا ؛ فكل عضو يتحرك حين نولد إلا الجزء الذى ندرك به الحياة التى هبطنا إليها ... ترى ماذا كان يحدث لو أننا واجهنا الحياة بعقول مدركة من اللحظة الأولى ؟ كنا نفقد عقولنا للفور من هول الأعجوبة ... أعجوبة الحياة فى انكشافها المفاجىء أمام القادم من عالم الظلام والعدم ، ولكن الحياة تتكشف لنا على مراحل ... »

وهذا هو المعنى والسبب فى وصفك لرسولك محمد بأنه خاتم الأنبياء ، وأن الإسلام خاتم الأديان السماوية ... لأن البشرية بعد أن أدخلتها ياربى فى مرحلة المعرفة الفكرية للخالق والمخلوق بعقلها المفكر فقد تركتها لهذا العقل... وهذه آخر مراحل البشرية ...

ثم أنك ياربى لا يمكن أبداً أن تلغى ما خلقت

وما أوجدت... ولذلك أبقيت كل المراحل السابقة موجودة في كيان البشرية والإنسان : فإلى جانب العقل الذى توّجت به وجوده ؛ أبقيت معه الغرائز والعواطف ، وجعلت لكل منها ضرورة نافعة ، كما أن لكل منها ضرره إذا طغى ...

وكان لا بد من الإسلام ، وهو الأخير في أديانك ، من أن تناط به مهمة التوازن والتعادل بين الثلاثة : العقل والعاطفة والغريزة . . . أى الفكر والقلب والمادة ، وجعلت نبيك رسول الإسلام يمارس الثلاثة ويقول « حُبب إلىّ من دنيا كم ثلاث : النساء ، والطِّيب ، وجُعِلتْ قرة عيني في الصلاة »[٢٣] .

وفي قرآنك تحذير دائم بعدم الطغيان والغلو والإسراف ، مع السماح باستخدام هذه القوى الثلاث في حياة البشرية باعتدال .

ثم أنك يا ربى تذكر في قرآنك دائماً بهذا الترتيب : التوراة والإنجيل والقرآن ... مع أن القرآن ختام كتبك

السماوية ... فما قصدك من ذلك ؟ ... بقدر علمي وفهمي ، تريد أن تتذكر دائماً أن ما خلقت وأوجدت في الماضي لا تريد إلغاءه أو إعدامه ... إنما أنت تضيف وتُعدِّل ، ولا تلغي ما أوجدتَ ... فوجود موسى وعيسى قبل محمد ليس معناه إلغاءهما ... وإلا ما كنت ذكرتهما بالتكريم في قرآنك الخالد ... ولقد كانت المرحومة زوجتي تقرأ الكتب السماوية الثلاثة باعتبار أن القرآن ذكرَها بالتكريم ، وهي حسنة الإسلام ... وكما جاء في سورة المائدة : « قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تُقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم ... » (٢٤) .

ولي صديق مسيحي كثير القراءة في القرآن .

ولذلك أعتقد أنك تحب من رجال كل دين أن يقرأوا كذلك كل الكتب السماوية الأخرى ... وإذا امتنع عن ذلك أهل الإسلام بحجة التحريف في تلك الكتب الأخرى ، فليحددوا أماكن التحريف فقط وينبهوا إليها ،

ويمضوا فى قراءة الباقى الذى لا ريب فيه ... أما الإهمال التام لما ذكره الله فى قرآنه ، فلا أظن الله يرضى عنه ... فالله تعالى خلق الأديان السماوية لحكمة ...

فلا بد من أن نتابع الله فى حكمته حيثما كانت ...

* * *

وأنت يا من نفسى بيده ... وتعلم كل شىء عنى — أنا مخلوقك الضئيل المحب لذاتك العلية — كل اهتمامى الآن هو تتبع حكمتك ... ولقد أرادت حكمتك حث المسلمين على قراءة كتبك السماوية للتقريب بين أديانك ... كما لم تفرق بين أجناس مخلوقاتك ... فقد قال رسول الله ﷺ لرجل : « انظر فى وجوه القوم » فنظر ، فقال له النبى : ما رأيتَ ؟ فقال الرجل : رأيتُ أبيض وأسود وأحمر ، فقال رسول الله : إنك لا تَفضلهم إلا بالتقوى ! ... »(٢٥)

كما أن اللغة العربية ليست بشرط لدخول الإسلام ، فقد أرسل نبيك صلوات الله عليه برسالة الإسلام إلى أمم لا تتكلم

العربية كالروم والفرس والحبش ... وأوصى بقوله : «اطلبوا العلم ولو فى الصين »[٢٦] ... أليس كذلك يا ربى ؟ ...

ولكن التفريق والتعصب والكراهية ربما كان المسئول عنها الحكام وأتباعهم من بعض رجال الدين المتعصبين ... سامحهم الله ...

لى سؤال يا ربى الكريم ... وقد يبدو كأنه اعتراض ... وأعوذ بالله ... أعوذ بك أن أعترض على حكمتك ... فإن حكمتك هى الكلمة التى أجد فيها الراحة والحماية إذا أصابنى عذاب أو ألم شديد ... فعندما فقدتُ ابنى الوحيد وأنا فى شيخوختى ... وسرتُ فى جنازته ... لاحظت من يسير خلفى ويحمل كرسياً ... فقد اعتقد بعض المشيعين أن شيخاً ضعيفاً مثلى لن يقوى على احتمال صدمة موت وحيده الشاب ، وقد يسقط على الأرض فى أى لحظة ... وأنا نفسى لا أعرف كيف صبرتنى يا ربى ووضعت فى نفسى وجسمى القدرة على مواصلة السير حتى المقبرة ، ولكنى أذكر أنها كلمة واحدة كنت

أرددها : «حكمتك أنت ياربى » ... نعم حتى الآن فيما يصيبنى من ألم ليس لى من دواء إلا هـذه الـكلمة : حكمتك ... لأنى أومن اليوم إيماناً راسخاً أن كل ما يصيبنى هو « حكمة » من لدنك ، وعندئذ أرتاح ... وأعفى نفسى من أى تساؤلات أو تعليلات ... إنها حكمتك وكفى... لأنك لا تقدّر شيئاً ولا تقضى قضاء إلا وفيه حكمة ... وكيف نرقى نحن البشر إلى إدراك قضائك وقدرك ؟!

حقاً يا ربى ... الإيمان بك راحة ... ومن صفاتك التى تمنحنى أكبر قدر من الراحة صفتان : الحكمة والرحمة ... أما حكمتك فتنفعنى للتسليم بقضائك ، وأما الرحمة فتنفعنى باللطف فيه ... وأنا دائماً أردد هذه العبارة : «اللهم إنى لاأسألك رد القضاء ولـكن أسألك اللطف فيه» ...

وإنك تعرف مقدار شكرى لك وحمدى ... فقد كنتَ معى لطيفاً رحيما ... ولـكن العقل ، العقل يا ربى ... بقدر ما أعطيتنى الإيمان راحة ، أعطيتنى العقل جهداً ! ...

وهذا الجهد يأتى من حركة العقل ... هذا المولد الكهربائى للأفكار ... وتيار الأفكار إما أن يُنتج وإما أن يَصعق ... ولذلك له نتائج نتحمل نحن مسئوليتها ... فيها سعادتنا وفيها شقاؤنا ... وعلاقته بالدين خطيرة ... فالدين عقيدة ثابتة ... والعقل أفكار متحركة ...

وهذه الأفكار تلازمها أدوات التحليل ... وهذا التحليل إذا مس العقيدة الدينية فتت أجزاءها ، فاهتزت وذهب ثباتها ، وأصبحت ككل وجود عقلى يتعرض للمطالبة بالدليل والبرهان ... وعندئذ يظهر الشك ... لأن كل مطالبة بدليل أو إثبات معناه أن هنالك شكاً ... وأعوذ بك يا ربى من الشك فى الدين ...

ولكن الشك أنواع ...

هناك الشك المغتفر ... الذى قال فيه إبراهيم :

« ليطمئن قلبى »[٢٧] ...

وهناك الشك الآثم للإنكار والإلحاد ...

ثم شك يتبخر بالإيمان ...

مثل شك عمر بن الخطاب ساعة أن علم بالإسراء وأنك يا ربى أسريت بعبدك ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، والمسافة بينهما لا يمكن أن تقطع فى ليلة ... ورفض عقله أن يصدق ماحدث ... وكاد أن ينضم إلى الذين كذّبوا وشنعوا ، وقد علم أبو بكر الصديق بما كان من عمر فأكد له أن الإسراء حدث فعلا ... ووقع عمر فى الشك لحظة قبل أن ينتهى إلى الإيمان ...

وما حدث لعمر قد حدث لى أنا أيضاً فى مرحلة من حياتى نشط فيها العقل ونهض يؤدى عمله وهو عدم قبوله ما لا ينطبق عليه منطقه وقوانينه ... إلى أن انتهيت إلى الإيمان المستقل عن القدرة البشرية والمتصل بالقدرة الإلهية ...

وعقلى الآن يا ربى حدث له العجب ؛ أصبح يسير اليوم مع الإيمان فى طريق واحد ... فقد تقدم العلم العقلى حتى استطاع الكشف عن بعض قوانين خلقك المعجزة التى

كانت مجهولة من قبل ... فآمن الكثير من العلماء اليوم بك وبقدرتك وعظمتك ... وأصبح لهم الفضل فى تقريبى إليك بالطريق العلمى مع الطريق اللغوى الذى كان كل وسيلتنا إلى معرفتك فى تلك المرحلة من مراحل المعرفة البشرية حيث لم تشأ حكمتك دخول البشر فى مرحلة العلم الوضعى والتجريبى وقتذاك ...

وإنه ليبدو لى الآن أن الطريق إليك فى المستقبل سوف يكون كذلك طريق العلم ، العملى والتجريبى ، لأن اكتشاف المجرات التى تبعد عنا آلاف السنين الضوئية ، لم يدركه علماء البشر إلا أخيراً بآلات الرؤيا الحديثة ... ولا يمكن لأى لغة أن تصور لنا ذلك ... والله العظيم هو خالق هذه المجرات ، والعلم هو الوسيلة الوحيدة لإدراك ما خلق من هذه المجرات الضوئية ... والله وحده هو الذى يسخر لنا وسيلة العلم لندرك عظمته ؛ فكيف لا نسعى بمشيئته إلى العلم فى زماننا وكل زمان ومكان ... ويصدق

بذلك ما جاء فى القرآن :

« إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ » ...

ولذلك عندى الآن اقتراح :

هو أن يُنشأ قسم أعلى مستقل فى جامعة الأزهر ، يُختار له ما لا يزيد عن خمسين عالماً من المتفوقين فى الرياضيات العليا من فيزياء وكيمياء وفلك وغير ذلك (وقد سبق أن حدث هذا قبل ذلك فى ماضى الأزهر) مع التعمق فى فلسفة الأديان ، ويرسلون للعمل فترة فى معامل العالم المتخصصة إلى جانب كبار العلماء المتخصصين فى العلوم الكبرى ، ثم يعودون لينقطعوا للبحوث العميقة فى العلم والدين طول حياتهم بمرتبات تكون أكبر مرتبات الدولة ، ويخصص لهم من المعامل العلميـة والمراصد الفلكية ودور العبادة والمساكن من أحدث طراز ... وبهذا نضع القاعدة المتينة للفلسفة العربية الإسلامية القائمة على العالمين : الدنيا والآخرة فى أرقى مظاهرها وخصائصها ... وبذلك يظفر العالم العربى :

مهبط الأديان ببركتك يا ربى خالق الكون ... ويصبح المسلمون جديرين بالإسلام ... وقد قال ﷺ « لا ينبغى للجاهل أن يسكت على جهله ، ولا للعالم أن يسكت على علمه »(٢٨)، ولكن بعض الكسالى من رجال الدين يسكتون على جهلهم بما حدث للعلم البشرى من تقدم،وأظهروا الإسلام كأنه غير صالح إلا لزمن واحد هو الزمن القديم وحده ... مع أنه صالح لكل زمان ومكان ، بمتابعة العلم فى تجدده .

والمتأمل للإسلام اليوم يجده أرقى من المسلمين ... والقرآن لا يفهمون ما فيه ولا يعرفونه إلا كصوت جميل من القارئين ، ورسول الله صلوات الله عليه هو القائل : « وهل ينفع القرآن إلا بالعلم ! »(٢٩) ... ففهموا عكس حكمتك يا ربى من أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان ، فقد فهموا أن معنى ذلك هو الوقوف بالإسلام عند مرحلته الأولى ... وفسروا العلم بأنه العلم فى عصر النبوة فقط ... فأثبتوا بذلك أنه صالح فقط لزمان واحد ... فى حين أن

ما قصدته أنت يا خالق الكون هو أن الإسلام دين البشر كافة ، صالح للتحرك فى كل زمان ومكان ، كتحرك النجوم فى السماء ، وتحرك الإنسانية نفسها من درجة الجهل إلى درجة العلم ... ﴿ وهل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾[٣٠] ... و ﴿ الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾[٣١] .

وعلى رجال الدين أن يُفهموا المسلمين أن صلاح الإسلام ليس فى التجمد فى زمن واحد مضى ، بل فى الحركة المتقدمة مع تنقية ما يفسد ويتعثر بالحركة الطائشة ...

أخيراً يا ربى ، أتنبأ للمسلمين إذا لم يغيروا ما بأنفسهم ، فإنك كما نقلتَ المسيحية إلى روما سوف تنقل الإسلام الراقى إلى حيث الرقى والعلماء الذين ورد ذكرهم فى قرآنك بقولك : « إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ » ...

الحديث الثالث

« ولا يَكْتُمُونَ الله حَدِيثًا »

قرآن كريم

متعتى الوحيدة الآن يا ربى هى الحديث إليك ...
ولكنك تجعلنى أسترسل مهتديا بإرادتك ...

وكان حديثك فى قرآنك ، الذى كنتَ تخاطب فيه رسولك والناس ، قد أسهبت فيه بالنصح والتنبيه والايضاح كى تنير السبيل لدينك الجديد ... وقد اخترتَ للدين الجديد أمة سبق أن أنزلتَ فيها دينين كبيرين ؛ هما اليهودية والمسيحية، فلم يتبعهما أكثر هذه الأمة الموغلة فى البداوة... حتى الحضارة المجاورة لهذه الأمة مثل حضارة الروم، وحضارة

الفرس لم تنتفع بهما هذه الأمة قبل الاسلام ، هذا الدين الجديد الذى خلق منها خير أمة أخرجت للناس ... ولكن رسولك بهذا الدين لقى عنتا وجهدا فى إدخال هذا الدين فى قلوب أولئك الأجلاف وعقولهم ... ولكنها قدرتك ومعجزتك يا ربى أن تختار ديناً راقياً كالإسلام لينزل فى صحراء قاحلة وقوم بدائيين ... وكان لا بد لحكمتك من أن تخاطبهم أحياناً على قدر عقولهم ... وكان أرقى ما اشتغلوا به وقتئذ هى التجارة ، فاستخدمتَ فى جذبهم إلى دينك الجديد عبارات مغرية لهم مثل : « مَن جاء بالحسنة فله عشر أمثالها »[32] و « إنْ تُقْرِضوا الله قرضاً حَسَنا يضاعِفْه لكم »[33] مما عجبت له أول الأمر ... لأنى لم أقرض ولم أقترض سوى مرة واحدة ... فقد أقرضتُ ذات يوم بعيد مبلغ مائة جنيه لصديق طلبها منى (وكان من أهل الثقة والصلاح ، ومات شهيداً بعد أن أصبح قطباً دينياً) واطمأن قلبي إلى أن نقودى فى أمان ، وسترَّد إلىّ

الأممىَ فى الدولة : « الجمهورية » و « النيل » قد منحتا لشخص واحد ... والأخيرة دُعيت ولم أذهب لتسلمها حتى الآن ... لأنى لم أفعل شيئاً أستحقها عليه سوى كتب لا تنفع ولا تضر ... ولكنه فضلك أنت وكرمك ... ثم حبك لمخلوق مثلى ، ليس عندك أكثر من حشرة ...

هذا صحيح ... فقد كنت يوماً أنظر فى ورقة بيضاء لأكتب عليها الهراء الذى أكتبه ، فرأيت نقطة سوداء دقيقة وضئيلة ، أضأل من أى نقطة حبر ، فحسبتُ أن هذه النقطة قد سقطت من قلمى على الورقة ... ولكنى رأيتها تتحرك ، فدهشت وكذّبت نظرى ، وأمعنت النظر فإذا هى تسير فعلا ، ولكن ، كيف تسير هكذا ؟ ما هذه السرعة ؟ وحسَبت فى نفسى هذه السرعة بالنسبة إلى حجمها الذى لا يكاد يُرى بالعين المجردة ، وقارنت بين حجمها وحجمى فاتضح لى أنه لو كانت لى سرعتها لكنت أسير فى الطرقات بسرعة الطائرات النفاثة ! ... ما هذه القوة

الجبارة التى وضعتها بقدرتك فى هذا المخلوق الضئيل! ...
وكم من المولدات الكهربائية يلزمنى أنا الانسان لأسير
بسرعة هذه النملة ؟... ثم النحل، كيف تستطيع النحلة أن
تصنع بغير أدوات من خارج جسمها هذه الأشكال الهندسية
الرائعة فى تكويناتها السداسية وتملؤها بالعسل ؟! ثم ...
ثم ... ثم ... هناك ما لا يحصى من عجائب خلقك !

أيها الخالق الأعظم : أين امتياز الإنسان إذن ؟ ... أفى
معرفته لك وشعوره بك ؟ ومَن أدرانا نحن البشر أن النمل
لايعرف ولايشعر ؟ لقد صادفتُ مرة جماعة من النمل تسير على
الأرض فى اتجاه معين ، فوضعت قدمى أمامها أسدُّ بها طريقها ،
فرأيتها تتوقف عن السير وكأنها تفكر فى أمر هذه العقبة
التى اعترضتها... ثم دارت حول قدمى ، واجتازت العقبة
ثم استأنفت السير ... إذن هى تشعر وتفكر ... تشعر بالمشكلة
وتفكر فى الحل ... فكيف لا تشعر بوجودك يا ربى؟!...
كل الموجودات يا ربى تشعر بك ... وكل المخلوقات

..تسبح بحمدك ، كلٌ بطريقته ولغته ، كما جاء فى التسبيح فى سورة الإسراء : ﴿تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾[٣٥] صدقتَ يا ربى العظيم ... وكل ما يصدر عن مخلوق من حركة ومن صوت هو علامة حياة ... الحياة نفسها رمز تسبيح ... حتى الإنسان له من الحركات والأصوات ماهو تسبيح كبقية المخلوقات ، ونسميه نحن عبادات ، ونطلق فيه من الألفاظ والعبارات ، ماعَبَّرَتْ عن رتينه واستغنت عن مظاهره المخلوقات الأخرى ، التى تعبر عن فرحتها بالحياة وحمدها الله للوجود بطريقة تلقائية ... بينما نحن نستخدم التعبيرات اللغوية فى شكل تواشيح وابتهالات ...

وإنى لأسألك ياربى : ونحن البشر لا نختلف كثيراً عن بقية مخلوقاتك ، ويسرى علينا أسلوب الحياة طبقاً لقوانينك ، وقوانينك هى من معجزاتك ، ومن البشر جهلاء عجزة عن فهم ذلك ، رأوا المعجزة فى الاستثناء والخروج على هذه

القوانين ... وأنت خلقتَ لكل قانون استثناء من القانون ، فإذا هو قانون آخر بدأ يدركه العلماء اليوم ممن ذكرتهم يا ربى فى قرآنك ... فإرادتك ذاتها قانون ، وقولك : ﴿كن فيكون﴾ [٣٦] مجرد الكينونة : قانون ، فأنت لاتكسر ولا تخرق قانوناً لك ، فيسمى عند البشر معجزة ... فهذه كلمة من صنع البشر مما يستحيل عليهم الإتيان به . أما عندك فلا معجزة ، إنما الإرادة هى ما يصح أن يُنسب إليك ... إرادتك هى كل شىء ... أين إذن امتيازنا ؟ أهو فى غرورنا الذى انفردنا به عن كل مخلوقاتك ؟

كل مخلوقاتك يا ربِّ وضعتَ فيها نوعاً من العقل يفكر ليحافظ على وجوده ... فإذا كان هناك امتياز لنا فهو فى أسئلتنا ...

منذ الطفولة حتى النهاية ،

أقصد يا ربى الأسئلة للإجابة ،

الطموح إلى المعرفة ...

لـكنك القائل : ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾[٣٧].

— لماذا يا ربى ؟ ربما كان ذلك رحمةً بنا ؟ ...

هل الغلو فى العلم أكثر مما ينبغى مدمر لحياتنا ؟.

أنت أدرى بحكمتك ياخالقنا العظيم ...

كل ما أسألك من نعمه هى حكمتك ورحمتك ...

* * *

لا أسألك متعة من متع الدنيا !

أعطيتنى القناعة والاعتدال، فلم أشعر بحرمان .

وفى الآخرة ...

لا أتطلع إلى الجنة ، لأنها جزاء للمتقين ، وأنا لا أريد جزاء ومكافأة على حبك وتقواك ...

والنار ...

لن تجعلها تمسنى ، فهناك رحمتك ...

وأنا واثق من مغفرتك ، وغير واثق من عدم ارتكابى للمعاصى ، فأنا لم أرتكب كبائر، ولـكنى مرتكب لـكثير

من الصغائر ، وأكثر ما اقترفت من الشر هو بالنية دون الفعل ... أما الخير فلا أذكر أنى أدَّيته لا بالنية ولا بالفعل ... لا أذكر لى خيراً ، أما العقاب فهذا قضاؤك ، وعندئذ أقول : « ربِّ لا أسألك ردَّ القضاء ، ولكن أسألك اللطف فيه » ... وأنت الله سبحانه وتعالى اللطيف الرحيم ... ودينك دين اللطف والرحمة ... والواجب الأسمى لرجال دينك أن يغرسوا فى قلوب الناس رحمتك ولطفك ... وأن الحب لك وليس فقط الخوف منك هو المدخل لرضاك ، ولكن أكثرهم يغالون فى تصوير ما يخيفنا منك أكثر من تصوير ما يحببنا فيك ، فأقاموا الإسلام على الخوف أكثر مما أقاموه على الحب ... وما هذا هو الذى قصدته أنت ... ولا ما عمل من أجله رسولك ﷺ بقولك على لسانه : ﴿لا إكراه فى الدين﴾[٣٨]... والإكراه والكره لا يمكن أن يكونا أساساً صادقاً للحب والمعرفة ...

لقد بلغ الرسول بما يجعل المسلمين خير أمة أخرجت

للناس ... ولكن مع الأسف ... إن الإسلام أرقى من المسلمين ... والمسلمون اليوم بعيدون عن قول نبيهم صلوات الله عليه : « تَفَكُّرُ ساعةٍ خيرٌ من عبادة سنة »(٣٩) و « لا عبادة كتفكر »(٤٠) لأن الأذن عندهم أقوى من العقل ، ولم يعرفوا قول الإمام الغزالى (٤١) فى فضل العلوم العقلية على اللغوية : « إذ تدرك ، كما قال ، الحكمة بالعقل واللغة بالسمع ، والعقل أشرف من السمع » ...

ولذلك يا ربى العزيز تخلف المسلمون على وجه الأرض ... لأنهم لا يفكرون ... ولا حتى فى قمة الإيمان ... لأن الإيمان هو الذى أنقذ عمر بن الخطاب من شكه فى الإسراء .

وتعليقى على الغزالى فى فضل العلم العقلى أن معرفة الله تعالى لا يمكن أن تتم بالعلم فقط ، لأن الله قال : ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾... فلا يمكن إذن إدراك الله بالعلم فقط إلا إذا أدخلنا الله فى باب القليل الذى أوتيه الإنسان . وهو تعالى الأكبر الأعظم ... وهو بكبره وعظمته لا يحشر فى عقلنا البشرى الصغير القليل ..

ولكن فلنصبر ... يوجد ليل ونهار فى حياة الأمم ، هذا قانونك ... وأنا بإرادتك اشتغلت بالقانون ... وكذلك أبى ... لقد اشتغلت بكل شىء ... بلا موهبة ... ولكنى كثير الأسئلة ... دون أن أظفر بإجابة ...

وممن أنتظر الإجابة ؟ ...

منك طبعاً ... إنى أحبك ، ومعنى حبى لك : معرفتك ...

إنك اصطفيت محمداً وأردته بشراً ، ولم تمنحه من معرفتك إلا القدر الذى يحتمله البشر ... ويوم سأله قومه عن الروح لم تكشف له عن سرها ، وأوحيت إليه ﴿قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ ...

نعم ... نعم ... المعرفة ...

ولكن ماذا أفعل بالمعرفة ؟

لست أدرى ... أريدها ...

الناس تريد الجنة ... ويعبدون الله من أجلها ! ...

أما أنا لست أطلبها ... وهذا شقائى ...

المحال ، نعم أحب المطلق ...

أحب مَن لا يمكن أن تحبنى ...

فى شبابى نظرت إلى امرأة أحبها ... فرأيتها تنظر إلىّ طويلا ، وتهمس كلمة واحدة : « مستحيل » ...

ولكنى أحب الجمال ... وأنت أيضاً يا ربى ... وقد علمتنا ذلك ... وقد قالها عنك رسولك : « إن الله جميل يحب الجمال » ... وقالتها عائشة فيما روى عنها (٤٢) « كان نفر من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه على الباب فخرج يريدهم وفى الدار ركوة فيها ماء ، فجعل ينظر فى الماء ويسوى لحيته وشعره ، فقلت : يا رسول الله ، وأنت تفعل هذا ! قال : « نعم إذا خرج الرجل إلى إخوانه فليهيئ من نفسه ، فإن الله جميل يحب الجمال » ...

كما جاء فى أحد الأحاديث : كان رسول الله يسافر بالمشط والمرآة والدهن والسواك والكحل (٤٣) ...

وأنت القائل يا ربى : ﴿ لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم ﴾ (٤٤) .

إن الجمال فعلاً من أروع مخلوقاتك يا ربى العظيم ... جعلتَه فى الإنسان والحيوان والطبيعة ... وجعلته من الروعة بحيث أوحيتَ إلى شاعر قال يصفه : « إن الجمال ليس إلا أول درجات الهول » ... إنه شاعر ألمانى (٤٥) من عبادك المسيحيين المتصوفين فيما يبدو ... قرأت له فى شبابى أيام كنت أهيم حباً بالفن الذى وجهتنى أنت إليه ، رحمة منك بى وكرماً ، فكلما انصرفتُ عن المرأة صرفتَ عنى حبها إلى حب الفن ... وجعلتَ من المرأة ، حتى وأنا أكرهها ، خادمة لإلهامى الفنى ...

ولعل ذلك الشاعر الألمانى الذى ذكرته كان واقعاً فى الحب ، ومات أيضاً بسبب الحب ... موتة جديرة بشاعر ! ... أراد أن يقدّم إلى محبوبته وردة ، فاقتطفها من شجرة ، فوخزه شوكها وسال الدم من أصبعه ...

وتسمم الجرح فمات ... وهـذه هى قصيدته :

« إذا صِحتُ »

فمنذا الذى يسمعنى من بين طبقات الملائـكة ؟

وحتى لوسمعنى أحدُهم

وشاء أن يضمنى إلى صدره

لسقطتُ فى الحال ميتاً

مِن فرط سمو شخصيته وصدمة روعته .

إن الجمال ليس إلا أول درجات الهول

ونحن معشر البشر لا نـكاد نحتمله .

وإذا كنا نعجب به هذا الإعجاب

فلأنه يزدرى أن يعنى بتحطيمنا

أو إلحاق الأذى بنا .

إن كل ملاك مخيف رهيب ! ... »

* * *

وجاء فى كتابى « أرنى الله » عام ١٩٥٣ أن رجلا ذهب إلى ناسك من رجال الدين وقال له : « أريد أن أرى الله ! ... فأجابه أن الله لا يُرى بحواسنا الجسدية ... ولكنه يتكشف لروحك إذا ظفرتَ بحبه ... فسأل الرجل : كم مثلا ؟ ... فقال الناسك : حذار الطمع ، مستحيل لبشر أن يطيق مثقال ذرة من حبه تعالى ، ولكنى أسأل الله لك ربع ذرة من حبه . واستجاب الله ... وإذا الرجل يفقد عقله من قوة نور الله ، وحاول الناس أن يكلموه فلم يسمع ... فقال الناسك للناس : « لا جدوى ... كيف يسمع كلام الآدميين مَن كان فى قلبه ربع ذرة من حب الله !! ... واللهِ لو نشرتموه بالمنشار لما علم بذلك ! » ...

إن ربع ذرة من نور الله تكفى لتحطيم تركيبنا الآدمى وإتلاف جهازنا العقلى ! ...

الحديث الرابع

﴿ ولا يكتمون اللهَ حديثا ﴾

(قرآن كريم)

أَلْهِمنى الصواب يا ربى ... فأنا أخشى أن أكون مخطئاً فى حديثى إليك ...

فلقد أنشأت فى هذا الحديث علاقة بذاتك العلية ، ليست مما يستسيغه الناس بين الخالق والمخلوق ، ولم يفهموا أنها مجرد مناجاة من مخلوق لخالقه ... مناجاة حب علوى ... ليس مما يفهم أو يؤخذ بالمدلول العادى من أنه تطاول على الذات الإلهية ؛ وهو ما لا يمكن أن يخطر على بال أى مؤمن بالله ورسوله ...

وحسبى الله ونعم الوكيل فيمن فهمنى خطأ ورمانى بالضلال ، دون أن ينتظر حسابك أنت يا ربى يوم الحساب ...

ومع ذلك ألتمس منك المغفرة لمن ظلمنى ، ولى إذا كنت سهوت أو أخطأت ، وأنت الغفور الرحيم ...

وأنتهز الفرصة لأشكر الأزهر الشريف على دعوتى لحضور الاحتفال بعيده الألفى ، مما أشعرنى بأنه لا يعتبرنى من الضالين ...

وأنا لإدراكى أنك تعالى ليس كمثلك شىء ، ولا أرى أى وصف مناسب لعظمتك وارتفاعك ... فقدرتك التى خلقت من الكائنات ما لا يمكن لعقلنا البشرى أن يحيط بحجمه ، تجعلنى بالنسبة إليك أضأل بكثير الكثير من أضأل حشرة ... ولكن حرصك على وجودنا وحبك لنا باعتبارنا من موجوداتك هو الذى أشعرنا بأهميتنا لك ، وأنك وجهت الأمر إلينا لنعبدك ، فى حين أننا فى إحساسى بك ونظرى أنا مجرد ذرات غبار ... غبار بشرى ...

وتلك الذرات من الغبار البشرى هائمة فى ملكوتك ...
وعندما شاء كرمك أن يرفع من شأن ذرات الغبار البشرى
فيتكتل ويتجمع كالغبار الكونى ويصبح نجوماً تدور
فى أفلاك كينونتك ، تحت إرادتك ، وتكونت مجموعات
البشر ... وأردت تنظيمها وضبط مساراتها ، فأرسلت إليها
الرسل ... فأدركتْ ذاتها ، وضخمت من هذا الإدراك
للذات ... ثم أدركتْ وجودك على نحو صغّر شكلك
وضغط حجمك لتحشره فى مفهومها الضيق : هذا المفهوم
المحدود الذى جعل الخالق غير المحدود هو الذى يسأل
المخلوق العبادة والحمد والتعظيم ... رغم أنك قلت فى قرآنك
﴿والله هو الغنى الحميد﴾[٤٦] وفسر ذلك المفسرون العارفون :
« الله الغنى عن خلقه وعن عبادتهم ، وإنما أمرهم لينفعهم » ...
وهذا فى الحق الغرض الحقيقى من عبادة الله ... إنها ليست
لتعظيم الله (لذاته تعالى) فهو غنى عن كل تعظيم ...
والبشر الذى يزعم ذلك لا يقدر الخالق قدره ... إنما العبادة

لمنفعة العابد، ومنفعة العابد فى تعلمه من الله كيف يحافظ على بقائه ... وبقاؤه داخل فى نظام الكون ... ونظام الكون بيد الخالق الأعظم ... ولذلك أعطى الخالق كل مخلوق قدراً من الإدراك للمحافظة على بقاء النظام الكونى كما خلقه الله تعالى ...

سبحانك ربى ...

* * *

فى شبابى ... كنت كثير الإقامة فى مسجد السيدة زينب ... أصلى وأطلب معاونتك لى فى الدراسة، وفى كل شئونى ... إنى لا أكتمك شيئاً ...

وحدث أيضاً فى هـــذا المسجد أنى قمت بالتمثيل ... إى والله ... مرة واحدة ... كنا فى سنة ١٩١٩ ... وكنا نحن الشباب ننوى القيام بمظاهرة ضد الإنجليز ... ولاحظنا أن بعضـــاً من زملائنا يهم بالتسلل لعدم الاشتراك فى المظاهرة، فجمعناهم فى المسجد وأغلقناه علينا إلى حين.

موعد المظاهرة ... وخفنا أن يتطرق الملل إلى المنتظرين ... فاقترح أحدهم أن نشغلهم بشيء يلهيهم، وكانوا يعلمون أنى من هواة فن التمثيل، فصاحوا يطلبون منى فصلا مسرحياً، فقمت أنا وصديق لى من الهواة ومثلنا مسرحية « لويس الحادى عشر » (٤٧) وقمت أنا فى دور « لويس » أصيح فى القائم بدور « الكونت نيمور » الثائر ضد الملك لويس ... ولويس، أى أنا، أهدده بقولى: « إياك واللعب بالنار يا كونت » ... وأتوقع تصفيق الإعجاب من الشاهدين، وإذا بى أقابل بالوجوم البارد، والصياح يطلب فصلا مضحكا، وكان لا بد من القيام بالفصل المضحك ... فقمت به ... وما كدت أنتهى حتى دوى تصفيق الاستحسان من أرجاء المسجد ... فتكدرت كدراً شديداً ... ولعنت التمثيل والمشاهدين الذين صفقوا للهزل وتركوا الجد ... ولم أعد لها بعد ذلك ...

واندمجت فى سماع التلاوة من الشيخ ندا أشهر القارئين.

فى ذلك العهد ... خاصة فى سورة « الكهف » يوم الجمعة... ولعلها رسبت فى خاطرى منذ ذلك الحين، إلى أن جسدتها فى تمثيلية بعد عشر سنوات هى « أهل الكهف » ...

وقد دفعتنى يا ربى إلى شىء آخر... الحمد لك يا ربى ... فقد كان التمثيل وقتذاك فى بدايته غير محترم ... دفعتنى إلى طريق الأدب ، وأدخلتنى المجمع اللغوى ...

ولكنى أنا اعتذرت عن دخوله أول الأمر مما أغضب رئيسه أحمد لطفى السيد[٤٨] وقال : « كيف يرفض الكرسى الذى يسعى إليه كثيرون ؟! » ...

ثم وضعتنى أنت بإرادتك فى كرسى « عبد العزيز فهمى »[٤٩] ...

وأنا فى الحقيقة أحب هذا الرجل وأكرهه ... ولقد أشدت به فى حفلة الاستقبال ، لأنه أحد الثلاثة الذين طالبوا الإنجليز باستقلال مصر : سعد زغلول ، وعبد العزيز فهمى ، وعلى شعراوى ، وعلى أثر ذلك قامت ثورة ١٩١٩ ...

ثم لأنه اتصف بالشجاعة ... ولذلك قلت فى كلمة استقبالى مخاطباً أعضاء المجمع : « لقد وضعتمونى مشكورين فى كرسى مخيف ، كرسى رجل من أشجع رجال مصر فى التاريخ المعاصر هو : عبد العزيز فهمى ... والشجاعة عند عبد العزيز فهمى وسيلة لغاية أسمى وأشرف هى : « الحرية » ، والحرية عند عبد العزيز فهمى هى حياته ... هى لحمه ودمه ... هى فكره وروحه ... هى علمه وجهاده ... طلب الحرية للوطن ... وطلب الحرية للفكر ... وطلب الحرية للغة ، فلا عجب إذن إذا اعتقدت أنا أن هذا الكرسى الذى اقترن باسم عبد العزيز فهمى هو « رمز الحرية » .

ولكن هذا الكرسى كان قد آل إلى رجل آخر هو « واصف غالى »(٥٠) ...

واعتذر واصف غالى لاعتقاده أنه بعيد عن اللغة العربية ، وعن البلاد ، لأنه يقيم فى فرنسا باستمرار ... فانتخبت فى كرسيه ، ولما كانت استقالته قد تمت قبل استقباله وإلقائه

كلمة التنويه بسلفه عبد العزيز فهمى ، فقد أصبح الموقف محيراً

وبلا سابقة ، وهو حظى فى الوقوع فى المواقف المحيرة دائماً ،

فاستشير فى هذا الموقف عضو المجمع وفقيه مصر القانونى

« عبد الحميد بدوى »[٥١] فأفتى بأن أعتبر خلفاً لـكرسى

الإثنين ، وأن أضمن كلمتى تنويهاً بالاثنين معاً ... ووصفت

هذا الـكرسى بأنه « رمز للحرية » ومضيت فى كلمتى قائلا :

هذا الاعتقاد عندى دعمه وقوّاه الرجل التالى الذى آل إليه

هذا الـكرسى . الرجل التالى هو : «واصف غالى» وواصف

غالى هو أيضاً — ولعلها مصادفة عجيبة — رجل من رجال

الحرية : جاهد هو الآخر فى سبيل حرية بلاده (باعتباره من

الرعيل الأول فى الوفد المصرى) ، وحافظ ما استطاع على

حرية حياته ، ولئن كان قد ترك هذا الـكرسى — والمجمع

أحوج ما يكون إلى علمه وأدبه - فقد فعل ذلك مدفوعاً بدافع

الحرية التى أحبها والتى أرادت له أن يقيم حيث يشاء ، وأن

يخدم وطنه وأدب وطنه على النحو الذى يحسنه ويتفق مع

مواهبه ... ولقد خدم فعلاً الأدب العربى خدمة جليلة ، فهو بفضل تمكنه من اللغة الفرنسية أسلوباً وصياغة قد استطاع أن يبصر الغربيين بما فى الأدب العربى من روائع لم يفطنوا إليها ، ولم يقدروا قدرها . فنشر فى باريس منذ سنة ١٩١٣ كتباً ثلاثة ، هى : « تقاليد الفتوة عند العرب » و « حديقة الأزهار » و « الدر المنثور » ... كتب نقل بها إلى الغرب فضائل الفكر العربى نقلا مبينا مشرقاً جعل ناقد فرنسا المشهور فى ذلك الوقت « جول ليمتر »[٥٢] يقول وهو شديد الإعجاب :

« إن الشعر العربى فى مجال الإحساس والشعور أنقى شعر عرفه الإنسان . فالأمانة والصدق والشهامة والصداقة واحترام المرأة ، وقِرى الضيف والكرم ، وعظمة النفس ، والبطولة والفخر ، هى بعض ما يتغنى به ويعبر عنه هذا الشعر العربى ، وهو ما يسمو به فوق شعر الأمم الأخرى فحولة ونبلا ... »

هذا بعض ما فعل واصف غالى ، فرفع شأن الأدب العربى

فى بلاد الغرب ... وهو لم يزل هناك يواصل خدماته الجليلة فى هـذا السبيل ، تاركاً كرسى عبد العزيز فهمى يؤول إلى شخصى الضعيف بميراثه الضخم من فاخر الأعمـال ، وما انطوى عليه من معنى ورمز للوحدة الوطنية ... وشغله بمن ينتمى إلى الإسلام ومن ينتمى إلى المسيحية ، كما شاءت إرادتك يا ربى أن تجمع بين محمد ﷺ ومارية ...

وشاء كرم الله أن يترك لى هذا الـكرسى ويترك لى معه مهمة الـكلام عن صاحبه الأول العظيم ، وهى مهمة يخلتها عسيرة أول الأمر ، وإذا هى فى الواقع لن تـكلفنى جهداً ... فتاريخ عبد العزيز فهمى معروف لـكم جميعاً ، لأنه تاريخ مصر فى جهادها السياسى وجهادها الفـكرى : أما جهادها السياسى فموقف عبد العزيز فهمى منه خالد على الدهر ، فهو أحد الثلاثة الذين ثاروا لحرية البلد ، وصاحوا فى وجه المستعمر تلك الصيحة التى أيقظت الوطن ... أما تاريخ مصر الفـكرى ، فموقف عبد العزيز فهمى منه باق أيضاً

لا ينسى : فهو الذى ثار لحرية الفكر فى قضية على عبد الرازق وكتابه عن الإسلام وأصول الحكم[٥٣] ... وقضية طه حسين وكتابه عن الشعر الجاهلى[٥٤] ... كل هذا معروف لكم أيها السادة ... ولا محل هنا للإطناب فيما هو منقوش فى الأذهان ... حسبنا أن نستخلص من هذا التاريخ صفة عبد العزيز فهمى وهى روح الثورة من أجل الحرية ... حرية الوطن ، وحرية الفكر ... إلى أن جاء هنا فى هذا المجمع ؛ فاستيقظت فيه مرة أخرى روح الثورة من أجل حرية جديدة رآها فى حاجة إلى صيحته وشجاعته : تلك هى حرية اللغة ... فلم يكد عبد العزيز فهمى يستقر فى هذا الكرسى بمجمعكم حتى لاحظ أن اللغة العربية الجليلة فى بيانها ، العريقة فى قِدمها ، تكاد تعتل وتمرض لطول ما أغلقت عليها النوافذ ، خوفاً على صحتها ، ومحافظة على سلامتها ... رآها كالعجوز المقيدة فى خلاخيلها ودمالجها ، الحبيسة فى حجرة من التقديس ، لا يدخلها هواء الحياة

ولا شمسُ العصر ، خشية عليها من تقلب الجو ... فنهض فارس الحرية ، وأراد أن يمد يده إلى النوافذ يفتحها لنسائم التجديد ، وهو يقول فى ذلك : « إن اللغة كائن كالكائنات الحية ، ينمو ويهرم ويموت ، مخلفاً ذرية لغوية متشعبة الأفراد ، هى أيضاً فى تطور مستمر ... ولم يستطع قوم للآن أن يغالبوا هذه الظاهرة الطبيعية ... فإن التطور يكبح شراسة مَن غالَبه » ... إيمان عبد العزيز فهمى بالتطور ، أى بالتجدد وهو شيخ فى الثمانين يدل على أنه كان رجلا عظيما حقاً ... وعندما أقول إنه عظيم لا أعنى المعنى المبتذل ، بل أعنى المعنى العميق للكلمة ، ذلك أن من صفات العظمة شباب التفكير ، أى الإحساس بالتجدد ، أى مغالبة الزمن ، أى سبق العصر ... كل العظماء بلا استثناء كانوا مجددين أى سابقين لعصورهم ، مغالبين للزمن والهرم والجمود ؛ لأن عظمة الإنسان هى فى الانتصار على الزمن ، وخير مظهر للانتصار على الزمن هو شباب الفكر الدائم ، وتطور التفكير المستمر .

ولنمض فى الإصغاء إلى عبد العزيز فهمى ، وهو يتكلم عن التجديد والتطور فى اللغة ؛ قال : « إن رسم الكتابة العربية هو الكارثة ، إنه رسم لا يتيسر معه قراءتها مضبوطة حتى لخير المتعلمين ... وخطر بفكر أحد زملائنا أن يعالج المسألة من جهة الإعراب ، وذلك بحذف حركاته وتسكين أواخر الكلمات ... وقد قرئت آية : ﴿ ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى ﴾ (٥٥) مثلا فى القرآن الكريم بتسكين القاف فى الكلمتين ... وهكذا يمضى عبد العزيز فهمى فى بيان صعوبات اللغة العربية التى تعرقل انتشارها ... وقد أدركها القدماء أنفسهم ؛ وكان عبد الملك بن مروان (٥٦) يقول : « شيبنى ارتقاء المنابر وتوقع اللحن » ، وكانوا يقولون : « سَكِّن تسلم » ، وقال ابن الأثير (٥٧) فى كتابه : « المثل السائر » : « إن الإعراب ليس شرطاً للبلاغة ، وليس اللحن قادحاً فى حسن الكلام » . وقال مثل ذلك ابن خلدون (٥٨) الذى رأى أن الوقف لا يجافى البلاغة ... ولكن عبد العزيز فهمى أراد أن يحل

العقدة بسيف شجاعته فقدّم اقتراحه المشهور بترك الحروف العربية واتخاذ الحروف اللاتينية ... وأذكر أنى وافقته فى ذلك الوقت ، فتفضل — رحمه الله — وزارنى فى مسكنى ، وكان يومئذ حجرة فى نزل بأعلى عمارة ... فأشفقت على شيخوخته من الصعود ، وأسرعت إليه وهو فى سيارته وركبنا معاً ، وجعل يشرح لى نظريته وأنا أوافق ، ولا يخطر على بالى أنى سأكون يوماً فى موضعه من هذا الكرسى وأواجه الناس علناً بهذا الرأى الخطير ، الذى لا يمكن الدفاع عنه . وإن كنت مستعداً للدفاع عن الرأى الآخر الأبسط ، وهو تبسيط قواعد النحو وتيسير القراءة والكلام بغير تعثر ولا تفكير ... والتطور فى رأيى سيبدأ بداية لطيفة مقبولة : وهى أن الفصحى ستحتفظ بخير ما فيها ، وستستعير من العامية خير ما فيها ...

* * *

ولكنى أكره من عبد العزيز فهمى أشياء :

أولاً عبارة أدهشتني منه هو بالذات ، قالها أثناء أن كنا معاً فى سيارته يقوم بشرح نظريته فى اللغة ، قال إنه ذهب إلى البرنس محمد على ولى العهد ليحادثه بشأنها ، وقال له بالنص الذى أدهشنى : « أنتم يا صاحب السمو أسيادنا وأولاد أسيادنا » رنت هذه العبارة فى أذنى ولم أستطع نسيانها ... ولكن بطرح الدهشة ، وبالدراسة للموضوعية ، وبالتفكير المتأنى ظهر لى أن الأمثلة كثيرة لذلك :

ففى فرنسا كاتب الحرية الأكبر « فولتير » (٥٩) كان يعيش فى كنف ملك أجنبى ...

وفى ألمانيا كان « جوته » (٦٠) العظيم وثيق الصلة بالقصر الملكى ...

وشاعرنا العربى المتنبى مع سيف الدولة (٦١) ...

وفى مصر علمت من طه حسين أنه كان يرسل النسخة الأولى لكتبه إلى السراى الملكية ...

والعقاد (٦٢) الذى سجن لموقفه الشامخ من الملك فؤاد له

قصيدة أمام الملك فاروق عندما زار العامرية ، والعقاد ممثلا لها فى البرلمان ...

إذن العلاقة بين رجل الفكر ورئيس الدولة مسألة شخصية لا تؤثر فى حرية فكر المفكر ... ولكننا اعتدنا أن نرفع مَن نحب إلى مثل أعلى شبه معصوم ، وأن نخفض من نكره إلى حضيض مجرد من كل مزية ...

الأمر الثانى الذى لا أغتفره له هو أنه السبب فى هدم وحدة الحركة الوطنية بالانشقاق على الوفد المصرى بحجة أن سعد زغلول كان يستبد برأيه ، ولولاه لأصبح الوفد المصرى مستمراً كما استمر حزب المؤتمر فى الهند ... ولكن عبد العزيز فهمى كان عصبى المزاج ، فلم يستطع التماسك والصبر على ما لا يعجبه ليتحاشى الانشقاق والانقسام ...

لم أذكر ذلك طبعاً فى كلمة الاستقبال بالمجمع ، لأن من تقاليد المجمع أن تكون الكلمة للتنويه بصاحب الكرسى ،

سواء القديم أو الجديد ... والقديم ينوه به الجديد ، أما الجديد فيستقبله مَن رشحه ... إلا فى حالتى : فقد حدث أن الذى رشحنى كان أحمد أمين[٦٣] ومعه الدكتور منصور فهمى[٦٤] ، بينما الذى استقبلنى لم يكن أحدهما ... فقد حصل أن اتصل بى تليفونياً الدكتور طه حسين وسألنى : هل لدى مانع من أن يكون هو الذى يستقبلنى ؟ فوافقت لعلمى بحرص طه على تقديم واستقبال مَن يختارهم ، وقد سبق أن اختار هو استقبال وتقديم الدكتور عبد الحميد بدوى باشا ، مع أنه رجل قانون ...وقد تكلم طه حسين عنى منوِّهاً بكرمى ... ونافياً عنى صفة البخل التى ألصقت بى ... وعلمت بعد ذلك أنه أشاع أنى غضبت من كلمته لإعلانه أنى كريم ! ...

تمت الأحاديث الأربعة

أنا مسلم ... لماذا ؟

(لما جاء فى الإسلام من عناصر ثلاثة :

الرحمــــة ✲ العــــلم ✲ البشرية

وقبل ذلك وفوق ذلك لأنى أشهد

أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله)

ثم لأنى مؤمن بالرحمن الرحيم ، وهى الصفة التى وصف الله تعالى بها نفسه ، ونكررها فى كل ساعة :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

* * *

ولأنى مؤمن بقوله تعالى : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين »

* * *

ولأنى مؤمن بقوله تعالى : « فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة »

* * *

ولأنى مؤمن بقوله تعالى : « قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون ... »

* * *

ولأنى مؤمن بقوله تعالى : « قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ... » وقوله تعالى : « وأدخلنا فى رحمتك وأنت أرحم الراحمين ... »

* * *

ولأنى مؤمن بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « مَن لا يرحم الناس لا يرحمه الله »

وقوله : « عذبت امرأة فى هرة حبستها حتى ماتت جوعاً ... »

وقوله : « من رحم ولو ذبيحة رحمه الله يوم القيامة ... »

وقوله : « بينما رجل يمشي بطريق اشتد به العطش ، فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ، ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ بى ، فنزل البئر فملأ خفه فسقى الكلب ، فشكر الله له فغفر له . قالوا : يارسول الله وإن لنا فى البهائم أجراً ؟ قال : « فى كل ذات كبد رطبة أجر » .

* * *

ولأنى مؤمن بقول النبي ﷺ : « أترون هذه طارحة ولدها فى النار ؟ قلنا : لا ، وهى تقدر أن لا تطرحه ... فقال : « لله أرحم بعباده من هذه بولدها » .

* * *

ولأنى مؤمن بدعاء رسول الله ﷺ : « اللهم رحمتك ، أرجو ، ولا تكلنى إلى نفسى طرفة عين ، وأصلح لى شأنى كله ، لا إله إلا أنت . »

* * *

ولأنى مؤمن بما رواه أبو هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً ، وأنزل فى الأرض جزءاً واحداً ، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق حتى ترفع الفرَسُ حافرَها عن ولدها خشية أن تصيبه ... »

* * *

ولأنى مؤمن بقول الله تعالى : « اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ... »

* * *

ولأنى مؤمن بقوله تعالى : « قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم » ...

* * *

وقوله تعالى : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » ...

* * *

وقوله تعالى : « كذلك إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ » ...

* * *

وقوله تعالى : « وقل رب زدنى علماً » ...

* * *

ولأنى أومن بقوله تعالى : « ... ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقتَ هذا باطلا سبحانك ... »

* * *

ولقول رسول الله صلاة الله عليه وسلامه : « لا عبادة كتفكر » وقوله : « وهل ينفع القرآن إلا بالعلم ! » وقوله : « أطلبوا العلم ولو فى الصين » ...

* * *

وقوله تعالى : « خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا » ...

* * *

وقوله تعالى : « كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه » ...

* * *

وقوله تعالى : « ومَن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغنى عن العالمين » ...

* * *

وقوله تعالى : « مَن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضلّ فإنما يضل عليها » ...

* * *

وقوله تعالى : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ...

* * *

وقوله تعالى : « فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون »

* * *

وقوله تعالى : « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرّق بين أحد منهم ... »

* * *

ولأنى مؤمن بقوله تعالى : « والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفوراً رحيما ... »

* * *

وقوله تعالى : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كلّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ... »

* * *

وقوله ﷺ : « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، وإذا أكلنا لا نشبع ... »

* * *

ولأنى مؤمن بقول الرسول صلوات الله عليه : « أنتم أدرى بأمور دنياكم » .

* * *

ولأنى مؤمن بما جاء فى القرآن الكريم : « قل يا أهل الكتاب لستم على شىء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم ... » و « إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى مَن آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

* * *

وقوله ﷺ : « لاينبغى للجاهل أن يسكت على جهله ، ولا للعالم أن يسكت على علمه » . وقوله : « فضل العلم خير من فضل العبادة » وقوله : « من عَلِمَ علماً فكتمه ألجمه

اللهُ يوم القيامة بلجام من نار » ...

* * *

ولأنى مؤمن بقوله تعالى : « قُلْ يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ... »

* * *

ولأنى مؤمن بالحديث الشريف : « لا تؤمنوا حتى تحابوا » ...

* * *

وقوله ﷺ : « ترى المؤمنين فى تراحمهم وتوادّهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » ...

* * *

ولأنى مؤمن بقول رسول الله ﷺ : « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » ...

* * *

ولأنى أومن بقوله صلوات الله عليه : « إن الله بعثنى لأتمم مكارم الأخلاق » ...

* * *

ولأنى أومن بقوله صلوات الله عليه : « إن الله جميل يحب الجمال ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده » .

كما جاء فى قوله تعالى : « وأما بنعمة ربك فحدِّث » ...

* * *

ولأنى أومن بقوله صلى الله عليه وسلم : « تَفَكروا فى الخلق ولا تتفكروا فى الخالق فإنكم لا تقدرون قدرَه »

* * *

ولأنى مؤمن بقوله تعالى : « ولا تنس نصيبك من الدنيا » ...

* * *

ولأنى مؤمن بقول رسول الله : « أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ،

وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني » .

وقوله : « حُبب إليّ النساء والطيب وجُعلت قرة عيني في الصلاة » ...

* * *

ولأني مؤمن بخُـلق رسول الله البشر ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم(*) ، قالا : « استأذن عمر بن الخطاب على رسـول الله وعنده نسوة من قريش يكلمنه ويستـكثرنه عالية أصواتهن على صوته ، فلما استأذن عمر قمن فبادرن الحجاب ، فأذن له رسول الله ﷺ ، فدخل عمر ورسول الله يضحك ، فقال عمر : « أضحك الله سنك يا رسول الله ! فقال النبي: « عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي فلما سمعن

(*) هذا الحـديث حسن الإسناد يروى أن النسوة في حضرة النبي كن بغير حجاب ، وأن المقصود في الإسـلام قوله تعالى : «ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولىٰ»... والزى الإسلامي معروف . فلماذا الغلو في الدين بما انتشر اليوم من بدع في الزى والتخفي ؟...

صوتك ابتدرن الحجاب » ، فقال عمر : « أنت أحق أن يهبن يا رسول الله » ثم قال عمر : « يا عدوات أنفسهن ، أتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ » ، فقلن : « نعم ... أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ » ... فقال رسول الله : « إيهاً يا ابن الخطاب ، والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجاً إلا سلك فجاً غير فجك » ...

* * *

ولأنى مؤمن بما قال رسول الله ﷺ : « من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين » و« إنما العلم بالتعلم » وقوله : « مَن سلك طريقاً يطلب به علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة » ..

* * *

ولأنى مؤمن بما روى عن عائشة أنها قالت : « ما خيِّرَ رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً ... » ولما جاء فى حديث صحيح : « خير دينكم أيسره » قالها ثلاثاً ...

* * *

ولأنى مؤمن بما قاله رسول الله ﷺ : « لكل شىء دعامة ودعامة المؤمن عقله ، فبقدر عقله تكون عبادته ، أما سمعتم قول الفجار فى النار : ﴿ لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير ﴾ ...

ولما رواه أبو هريرة قال : « لما رجع رسول الله ﷺ من غزوة أحد سمع الناس يقولون : فلان أشجع من فلان وفلان أبلى ما لم يبل فلان ونحو هذا ، فقال رسول الله ﷺ : أما هذا فلا علم لكم به ، قالوا : وكيف يا رسول الله ؟ فقال : « إنهم قاتلوا على قدر ما قسم الله لهم من العقل ، وكانت نصرتهم ونيتهم على قدر عقولهم ، فأصيب منهم من أصيب على منازل شتى ، فإذا كان يوم القيامة اقتسموا المنازل على قدر نياتهم وعقولهم » ...

وعن عائشة قالت : قلت يا رسول الله بم يتفاضل الناس فى الدنيا ؟ قال : بالعقل ، قالت : وفى الآخرة ؟ قال : بالعقل ، قالت : أليس إنما يجزون بأعمالهم ؟ قال ﷺ : يا عائشة

وهل عملوا إلا بقدر ما أعطاهم عز وجل من العقل ، فبقدر ما أُعطوا من العقل كانت أعمالهم ، وبقدر ما عملوا يُجزون » ...

* * *

ولأنى مؤمن بقوله تعالى فى حديث قدسى : « يسب ابنُ آدم الدهر وأنا الدهر بيدى الليل والنهار » ...

* * *

ولأنى مؤمن بقول الرسول ﷺ : « يتبع الميت ثلاثة ، فيرجع اثنان ويبقى معه واحد : يتبعه أهله وماله وعمله ، فيرجع أهله وماله ، ويبقى عمله » ...

* * *

ولأنى أومن بقوله تعالى فى قرآنه الكريم : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » وقوله تعالى : « سيجعل الله بعد عسر يسرا » وقوله : « فإن مع العسر يسرا ... إن مع العسر يسرا » ...

* * *

ولأنى مؤمن بدعاء الرسول ﷺ نقلا عن عائشة أنها رأت النبي يدعو رافعاً يديه يقول : « إنما أنا بشر فلا تعاقبنى ، أيما رجل من المؤمنين آذيته أو شتمته فلا تعاقبنى فيه » ...

* * *

ولأنى مؤمن بدعاء رسول الله ﷺ فى دعوات المكروب : « اللهم رحمتك أرجو ، ولا تكلنى إلى نفسى طرفة عين ، وأصلح لى شأنى كله ، لا إله إلا أنت » .

* * *

ولأنى مؤمن بقوله ﷺ : « عَلِّموا ويسروا ، علموا ويسروا » (ثلاث مرات) « وإذا غضبتَ فاسكت » (مرتين) .

* * *

ولأنى مؤمن بما قال أبو بكر رضى الله عنه للنبي ﷺ : علِّمنى دعاء أدعو به فى صلاتى . قال : « اللهم إنى ظلمت نفسى ظلماً كثيراً ، ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لى من عندك

مغفرة ، إنك أنت الغفور الرحيم » ...

* * *

ولأنى مؤمن بقول رسول الله صلوات الله عليه : « ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدى صاحبه إلى هدى ويردّه عن ردى ، وما تم إيمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله » ...

* * *

ولأنى مؤمن بقوله تعالى : « إن أريدُ إلا الإصلاح ما استطعتُ وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب » .

* * *

ولأنى مؤمن بما جاء فى خطبة رسول الله ﷺ : « طوبَى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس » .

* * *

ولأنى مؤمن بما جاء فى القرآن الكريم : « وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » .

* * *

ولأنى مؤمن بقوله تعالى : « واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » ...

* * *

ولأنى مؤمن بقوله تعالى : « وجادلهم بالتى هى أحسن » ...

* * *

ولأنى مؤمن بقوله تعالى : « وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة » ...

* * *

ولأنى مؤمن بقوله تعالى : « ومن يؤت الحكمة فقد أوتىَ خيراً كثيراً وما يذّكر إلا أولوا الألباب » ...

* * *

ولأنى مؤمن بقوله تعالى : « لا إكراه فى الدين » .

* * *

ولأنى مؤمن بقوله تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا » ...

* * *

ولأنى مؤمن بقوله تعالى : « مَن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضلّ فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى. وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » ...

توفيق الحكيم

روجعت الأحاديث بعناية : (الناشر) .

هوامش الأحاديث الأربعة

والقضايا الدينية التي أثارتها

(١) حديثى مع الله وإلى الله ، فى مقالاتى الأربع ، التزمت فيه أدب الحديث مع ربى :

١ — كررت أكثر من مرة أنه لم يخاطبنى ، وإنما أنا الذى أجيب مستلهماً ما يمكن أن يكون ردّ الله على تساؤلاتى مستلهماً من قرآنه الكريم ، وسنة نبيه صلوات الله عليه .

٢ — تأويلى لبعض الآيات فى حديثى استقيته من أمهات كتب التفسير ، والأحاديث استقيتها من أمهات الكتب الإسلامية .

٣ — الردود التى نسبت تخيلا إلى الخالق راعيت فيها أن تكون مقتضبة مثل « أكمل » ، « استمر وأنت المحاسب على ما تقول » ، أو آية مثل ردّه علىّ بقوله « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » الخ ... سامح الله من أساء فهمى ، ومن أساء الظن بقصدى ، ومن افترى علىّ ما لم أقله ، ومن أراد تنفيرى من الإسلام دين السماحة واليسر ...

٤ — يهمنى أن أشير إلى دهشتى مما وجدت ضمن كتابات السابقين من مفكرى الإسلام ومتصوفيه زوّقوا الأحاديث ونسبوها

إلى الله شعراً ونثراً فى أساليب جريئة مما لا أتصور إقدامى على مثله ؛ تأمل ديوان ابن الفارض رحمه الله ، وكتابات ابن عربى .

راجع كتاب المواقف والمخاطبات « للنفرى » طبعة دار الكتب المصرية ، وكذلك كتب النسبة والفتوحات المكية « لابن عربى » والطبقات الكبرى « للشعرانى » وكشف الظنون ولطائف الأعلام فى إشارات أهل الإلهام ومكاشفة القلوب « للغزالى » .

من مخاطبات النفرى : « ياعبد قل ربى عرج بى إليه وقال لى إرتفع إلى العرش فارتفعت فلم أر فوقه إلا العلم ورأيت كل شىء لجة ، وقال للجة : إنحسرى ، فرأيت العرش وأفنى العرش فرأيت العلم فوق وتحت ، ورفع العلم فارتفع فوق وتحت ، وبقى عالم ومدّ العلم ونصب العرش ، وأعاد اللجة ، وقال لى أكتب العلم ، وردنى إلى العرش فرأيت العلم فوقى واللجة تحتى ، وقال لى ابرز إلى كل شىء فسله حتى تعلم العلم النافع . . . »

ومن مواقفه : « أوقفنى وقال لى من أنت ومن أنا ، فرأيت الشمس والقمر والنجوم وجميع الأنوار ، وقال لى ما بقى نور فى

مجرى بجرى إلا وقد رأيته ، جاءنى كل شىء حتى لم يبق شىء ، فقبل بين عينى وسلم علىّ ووقفنى فى الظل ... » !

* * *

(٢) ﴿ يومئذ يودّ الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً ﴾ (الآية ٤٢ النساء) جاء فى تفسيرها ، « وقال بعضهم : إن المراد بكتمان الحديث هنا كتمان الحق فى الدنيا ككتمان أهل الكتاب صفة النبى ﷺ والبشارات ... » (المنار جـ٥ ص ١١٢)، وهذا ما أردته بإيراد هذه الآية تصديراً لأحاديثى إلى الله لا أكتمه فيها ، ولا أكتم الناس شهادتى للخالق ولرسوله وللإسلام بعد أن شرّقت وغرّبت ، وإذا بى فى ختام حياتى أوقن أن الإسلام هو الأصل وأن مصير البشرية صائر إليه وأنه صالح لكل زمان ومكان ، وهذا ما أوضحته فيما تلا هذه الآية من حديثى الأول : « نعم ياربى لن أكتمك حديثاً ... ولم يبق لى فى حياتى الآن ... »

* * *

(٢) حديث رؤية المؤمنين لله يوم القيامة :

انظر صحيح البخارى كتاب الرقاق ج ٨ ص ١١٧ وما بعدها .وفيه قال أناس يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال هل تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا : لا يا رسول الله ، قال : هل تضارون فى القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ؟ قالوا لا يا رسول الله ، قال فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك ... » قال القسطلانى فى تفسير قوله ترونه كذلك : الكاف ليست لتشبيه المرئى ؛ فليس لله شبيه ، قال تعالى : « ليس كمثله شىء » وإنما هى لتشبيه الرؤية بالرؤية فى الوضوح واليقين وعدم المجادلة ونفى الشك عنها » . (وإن كان المعلوم أن المرء لا يستطيع رؤية الشمس وإنما هو يرى الشمس من بعد ملايين السنين الضوئية إذ آلة الإبصار لا يمكنها إدراك إلا ما ينطبع على عدساتها قدر طاقتها البشرية المحدودة) والخلف يؤولون المتشابه بصرفه عن معناه الحقيقى الموهم للتشبيه إلى معنى يليق بجلال الله وعظمته .

﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ﴾

تفسير المنار بعد مبحث طويل ١٥٢ إلى ١٩٠ ج ٩ قال :

« وقد علم مما تقدم أنه ليس فى الرؤية البصرية نص أصولى

ولا لغوى متواتر قطعى الرواية والدلالة يجعلها من العقائد المجمع
عليها المعلومة من الدين بالضرورة وليست مما كان يدعى إليه
فى تبليغ الدين مع التوحيد والرسالة بحيث يكون من يجهلها
أو ينكرها كافراً ، وإنما هى من غريب العلم إلا على الذى
يستنبطه من القرآن كبار العارفين ، وربما كان فتنة لمن دونهم
وكذلك كان ، حتى أن كبار النظار وعلماء البيان قد اختلفوا
فى كل من الآيات الثلاث الواردة فيها : فى سورة الأنعام
والأعراف والقيامة » ثم يختم الموضوع بقوله « خلاصة الخلاصة
أن رؤية العباد لربهم فى الآخرة حق ، وأنها أعلى وأكمل النعيم
الروحى الذى يرتقى إليه البشر فى دار الكرامة والرضوان ،
وأنها أحق ما يصدق عليه قوله تعالى فى كتابه المجيد « فلا تعلم
نفس ما أخفى لهم من قرة أعين » وقوله فى الحديث القدسى
الذى رواه عنه رسوله ﷺ « أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين
رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » وأن هذا
وذاك مما يدل على مذهب السلف الذى عبر بعضهم عنه بأوجز
عبارة اتفق عليها جميعهم « وهى أنها رؤية بلا كيف » ويؤيد
ذلك اضطراب جميع أصناف العلماء فى النصوص الواردة فى نفيها

وإثباتها سواء منهم أهل اللغة وأساطين البيان، ونظار الفلسفة وعلم الكلام، ورواة الأحاديث والآثار ومرتاضوا الصوفية وأولو الكشف والإلهام، فلم تتفق طائفة من هؤلاء على قول فصل قطعى تقنع به بقية الطوائف بدليلها » ا. هـ.

* * *

(٤) ﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال: ربِّ أرنى أنظر إليك، قال: لن ترانى ولكن أنظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخرَّ موسى صعقا، فلما أفاق قال: سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين ﴾ ١٤٢ سورة الأعراف.

﴿ فصل ﴾ فى الرؤية ومجال التأويل فى آيات رؤية الله تعالى ص ١٢٨ وما بعدها الجزء التاسع من تفسير المنار:

رؤية الله تعالى ربما قيل باديء الرأى إن آيات النفى فيها أصرح من آيات الإشارة كقوله تعالى « لن ترانى » وقوله تعالى « لا تدركه الأبصار » فهما أصرح دلالة على النفى من دلالة قوله تعالى: « وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة » ، فإن استعمال النظر بمعنى الانتظار كثير فى القرآن وكلام العرب، كقوله تعالى: « ما ينظرون

إلا صيحة واحدة — هل ينظرون إلا تأويله — هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة » ... فقد روى عبد ابن حميد عن مجاهد تفسيره (ناظرة) بقوله : تنتظر الثواب ، قال الحافظ بن حجر سنده إلى مجاهد صحيح .

وقد كان النبي ﷺ يعذر أصحابه فى اختلاف فهمهم للنصوص ويقرهم على ما كان للاجتهاد فيه وجه وجيه ، كما فهم بعضهم تحريم الخمر والميسر من آية البقرة التى رجحت إثمهما على منافعهما فتركوها ، ولم يتركهما من لم يفهم ذلك وهم الأكثرون إلا بعد نزول آية النهى العظمى باجتنابهما . فإذا لخصنا أسباب الخلاف من وجهة النصوص وحدها ، وجدنا لكل من النفاة للرؤية والمثبتين لها ما يصح أن يكون له عذراً عند الآخر يمنع جريمة التفرق فى الدين ، وجعل أهله أحزاباً وشيعاً متمادية غير مبالية بما ورد فيه من الوعيد الذى كاد يجعله كالكفر ، ما دام كل منهم يعلم أن الآخر يؤمن بأن جميع ما جاء به الرسول ﷺ حق ، وأن الخلاف محصور فى اختلاف الفهم .

ويقول فى موضع آخر : « إن الأحاديث الصحيحة من التصريح فى إثبات الرؤية ما لا يمكن المراء فيه ، ولكن المراد من هذه

الرؤية غير قطعي ، وفيها ما قد يدل على عدم الرؤية ، فيأتى فيها الخلاف بين السلف والخلف .

قوله تعالى : «قال رب أرنى أنظر إليك» سورة الأعراف ١٤٣

وأحسن ما ورد فى التفسير المأثور لهذه الأشياء مطابقاً لمعنى اللغة ما رواه ابن جرير وابن أبى حاتم وأبو الشيخ والبيهقى فى الرؤية عن ابن عباس « فلما تجلى ربه للجبل » قال ما تجلى منه إلا قدر الخنصر « جعله دكا » قال ترابا «وخر موسى صعقا» قال مغشيا عليه . ا . هـ . من تفسير المنار .

* * *

(٥) ألبرت أينشتين (١٨٧٩ — ١٩٥٥)

عالم فى الفيزيقا النظرية ، من أصل ألمانى ، وعاش فى أمريكا . عرف بنظرية النسبية المشهورة . أجـــرى بحوثاً على ظاهرة الكهروضوئية . وضع أسس « النظرية النسبية الخاصة » نال جائزة نوبل فى الفيزيقا عام ١٩٢١ ، ورحل إلى أمريكا ، وتجنس بالجنسية الأمريكية (١٩٤٠) . أول من افترض وجود الضوء على هيئة كمات من الطاقة « فوتونات » وضع تكافؤ الكتلة والطاقة « النسبية الخاصة » وهو أن الكتلة تكافىء طاقة مقدارها حاصل

ضرب الكتلة فى مربع سرعة الضوء ، والعلاقة بين التجاذب وعزم القصور . أخرج نظريته النسبية عام ١٩١٦ على أسس رياضية وهى تحدد العلاقة بين الجاذبية وبين انحناء الفراغ ذى البعد الزمنى الرابع .

﴿فصـــل﴾ عقائد علماء الأفرنج فى هذا العهد ص ٤١٢ ج ١٠ (تفسير المنـار) :

« ملخص القول فى الدين عند الأفرنج كما يتراءى لنا : أن العوام لا يزالون يخضعون لدين الكنائس ونظم رجالها فى الجملة ولعلهم يبلغون النصف فى مجموع شعوبها ، وأن الملاحدة المعطلين فيهم على كثرتهم هم الأقلون فى النصف الآخر . وسائر النصف يؤمنون بأن للعالم خالقا وأنه واحد ، عليم ، حكيم يعرف بأثره فى نظام العالم الكبير ، وأما ذاته فهى غيب مطلق لا تتصور كنهها العقول ، ضرب له الفيلسوف الألمانى أينشتين الشهير مثلا غلاما مميزاً دخل داراً من دور الكتب منضوضة مرتبة من أدنى الحجرات إلى سقوفها ؛ فهو يدرك أن فى هذه الكتب علوما كثيرة مكتوبة بلغات متعددة ، وأن الذين وضعوها فى مواضعها أولو فهم ونظام هندسى دقيق ، وأما ما دوّن فيها من العـــلوم والفنون فلا يصل عقل إلى أقل القليل منها .

* * *

(٦) يقول الدكتور أبو الوفا التفتازانى حول إيمان أينشتين :

« إنما العلم يدفع إلى مزيد من الإيمان بوجود خالق لهذا الكون حتى أن العالم المشهور أينشتين ، الذى غير مجرى العلوم الطبيعية فى عصرنا ، سأله أحد الصحفيين عن قضية الإيمان فقال : إن هذا الكون الفسيح البديع الترتيب الذى يتضمن هذه المجاميع الهائلة من النجوم لا يمكن أن يكون قد وجد عن طريق الصدفة ، ولا يمكن أبداً أن يكون ما يقوله بعض الناس من إنكار للخالق صحيحاً » وأضاف الدكتور التفتازانى «إننى لا أقرر أن أينشتين مؤمن بمعنى أنه مؤمن بعقائد الإسلام أو أنه من أهل النجاة ، بل إننى أرى أن الإنسان لا يمكنه الوصول إلى معرفة حقائق الوحى بمحض العقل ، وكل الذى أردته فى معرض إلزام الخصم الذى يربط بين العلوم المادية ومناهجها وإنكار وجود الخالق أن أبين له أن ليس هناك ارتباط ضرورى بينهما ، ويستطيع الإنسان أن يجمع بين العلم والإيمان » .

ويختم التفتازانى هذا الموضوع بقوله : « إن الحكم الذى أراه فى هذه المسألة هو ما قرره الإمام أبو الحسن الأشعرى حين ذهب إلى أن الواجبات كلها سمعية ، والعقل لا يوجب شيئاً ، ولا يقتضى

تحسيناً ولا تقبيحاً ، فمعرفة الله بالعقل تحصل وبالسمع تجب » ، فإذا كانت بعض العقول تقوى على معرفة وجود صانع لهذا الكون ، فإن هذه المعرفة ، لا تعلق لها بالوحي ، ونحن لا يجب علينا شيء إلا عن طريق الوحي أو السمع .

(راجع ندوة العلم والإيمان ـــ التصوف الإسلامي) .

* * *

(٧) ألفريد كاستلر (١٩٠٢ ـــ ...) عالم فرنسي حصل على جائزة نوبل في الفيزياء ١٩٦٦ لأبحاثه في تفاعل الضوء والمادة ، وهو أبو الليزر ومؤلف كتاب «المادة هذا المجهول» ، وقد كانت له محاورات مع «توفيق الحكيم » عن علاقة الدين بالعلم من خلال المؤتمر الذي نظمته منظمة اليونسكو ١٩٧٧ ، وجمعت فيه أساطين الفكر للتنبؤ بمستقبل البشرية ، ونشر كل ذلك في مطبوعات اليونسكو ...

وكاستلر يرى ألا تعارض بين الدين والعلم ، وأن العلم قائم على السببية ، والدين قائم على الغائية بمعنى أن غاية الدين الوصول إلى معرفة الله والتقرب إليه ، أما العلم فهو ربط السبب بالنتيجة في الوصول إلى المعرفة على أساس الحواس .

المعنى أن الإنسان الكامل يحتاج إلى العلم الدنيوى على أساس الحواس والعقـــل .

كما يحتاج إلى الدين المعتمد على الحدس والبصيرة لإدراك آخرته على أساس الإحساس والقلب . . .

والإنسان الكامل كما قال الإسلام يعيش لدنياه وآخرته .

* * *

(٨) الآية ﴿ الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً ﴾ سورة الطلاق آية ١٢ ، كذلك جاء فى تفسير الإمام الحافظ ابن كثير ص٣٨٥ : قال ابن جرير فى تفسيرها « لو حدثتكم بتفسيرها لكفرتم وكفركم تكذيبكم بها ... »

وقال : روى البيهقى فى كتاب الأسماء والصفات هذا الأثر عن ابن عباس فقال أنبأنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أحمد بن يعقوب حدثنا عبيد بن غنام النخعى أنبأنا علي بن حكيم حدثنا شريك عن عطاء بن السائب عن أبى الضحى عن ابن عباس أنه قال : « الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن » ، قال سبع

أراضين فى كل أرض نبى كنبيكم ، وآدم كآدم ، ونوح كنوح ، وإبراهيم كإبراهيم وعيسى كعيسى » .

وجاء فى صفحة ٢٥٢ الجزء الخامس من كتاب « إرشاد السارى لشرح صحيح البخارى للقسطلانى » :

« الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن . . . » فى العـدد ، وفيه دلالة على أن بعضها فوق بعض كالسموات ، وعن بعض المتكلمين أن المثلية فى العدد خاصة وأن السبع متجاورة . وقال ابن كثير : ومن حمل ذلك على سبع أقاليم فقد أبعد النجعة وخالف القرآن ، واختلف : هل أهل هذه الأرضين يشاهدون السماء ويستمدون الضوء منها ؟ فقيل : يشاهدونها من كل جانب من أرضهم ويستمدون الضوء منها ، وهذا قول من جعل الأرض مبسوطة ، وقيل : لا إنما خلق الله لهم ضياءً يشاهدونه ، وهذا قول من جعل الأرض كرة . قال ابن جرير : حدثنا عمرو بن على ومحمد بن مثنى ، قال حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عمرو ابن مرة عن أبى الضحى عن ابن عباس فى هذه الآية قال : فى كل أرض مثل إبراهيم ونحو ما على الأرض من الخلق ، هكذا أخرجـه مختصراً وإسـناده صحيح وأخرجه الحاكم والبيهقى .

* * *

(٩) أبى عبد الله القرطبى وتفسيره :

عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرْح الأنصارى الخزرجى الأندلسى القرطبى من العلماء الزاهدين المتعبدين توفى سنة ٦٧١هـ ١٢٧٣م.

تفسيره : « الجامع لأحكام القرآن ، والمبين لما تضمن من السنة وآى الفرقان » وهو من أجل التفاسير وأعظمها نفعاً ، أسقط منه القصص والتواريخ ، وأثبت عوضها أحكام القرآن واستنباط الأدلة وذكر القراءات والإعراب والناسخ والمنسوخ ... ويقول الإمام القرطبى فى مقدمة تفسيره « ... وشرطى فى هذا الكتاب إضافة الأقوال إلى قائليها والأحاديث إلى مصنفيها ، فإنه يقال من بركة العلم أن يضاف القول إلى قائله ... » الخ ، وهو فى الحق قد أثبت فى تفسيره أقوال القائلين حتى المخالفين له فى الرأى .

وقد قام توفيق الحكيم بعمل تلخيص لتفسير القرطبى على منوال مختار الصحاح وأسماه « مختار تفسير القرطبى » .

* * *

(١٠) النسبية وتطبيقها فى تفسير الحياة والأديان : جاء ذكر النسبية فى الأديان تعليقاً على قول الماوردى فى تفسيره لقوله تعالى :

« الله الذى خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن » ذاكراً أن دعوة أهل الإسلام تختص بأهل الأرض العليا ولا تلزم من فى غيرها من الأرضين وإن كان فيها من يعقل من خلق مميز ... فعلقتُ على ذلك بأن الأديان ملزمة بالنسبة إلى إمكان التبليغ ... أى أنها « نسبية » على هذا الأساس : وهو وصول التبليغ ، فإذا تعذر هذا الوصول والإيصال فلا إلزام ... فالنسبة هنا مرتبطة بإمكان تبليغ الرسالة ... لأن الرسالة لا تتم إلا بالتبليغ ...

﴿ فصل ﴾ تحت عنوان : « آية نبوة محمد عقلية علمية وسائر آياته الكونية » قال السيد رشيد رضا :

جعل الله تعالى نبوة محمد ورسالته قائمة على قواعد العلم والعقل فى ثبوتها وفى موضعها ، لأن البشر قد بدأوا يدخلون فى سن الرشد والاستقلال النوعى الذى لا يخضع عقل صاحبه فيه لاتباع من تصدر عنهم أمور عجيبة مخالفة للنظام المألوف فى سنن الكون ، بل لا يكمل ارتقاؤهم واستعدادهم بذلك ، بل هو من موانعه ، فجعل حجة نبوة خاتم النبيين عين موضوع نبوته ، وهو كتابه المعجز للبشر بهدايته وعلومه وإعجازه اللفظى والمعنوى ليربى البشر على

الترقى فى هذا الاستقلال إلى ما هم مستمدون له من الكمال .

هذا الفصل بين النبوات الخاصة السابقة على الإسلام ، والنبوة العامة الباقية ، قد عبر عنه النبي ﷺ بقوله : « ما من الأنبياء من نبي إلا وقد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذى أوتيته وحياً أوحاه الله إلىّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة » متفق عليه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

وأما ما أقامه الله تعالى به من الآيات الكونية أى المعجزات فلم يكن لإقامة الحجة على نبوته ورسالته ، بل كان من رحمة الله تعالى وعنايته به وبأصحابه فى الشدائد كنصرهم على الكفار فى بدر والأحزاب ... » المنار ج ١١ ص ١٥٩ وما بعدها .

* * *

(١١) « إنما يخشى الله من عباده العلماء » سورة فاطر الآية ٢٨

— قال الإمام النسفى فى تفسير هذه الآية :

قرأ أبو حنيفة وابن عبد العزيز وابن سيرين رضى الله عنهم : « إنما يخشى اللهُ من عباده العلماءَ » والخشية فى هذه القراءة استعارة والمعنى : إنما يعظم الله من عباده العلماء ا . هـ .

— وقال الإمام القرطبى فى تفسيرها :

فإن قلتَ فما وجه قراءة من قرأ : « إنما يخشى اللهُ » بالرفع « من عباده العلماءَ » بالنصب وهو عمر بن عبد العزيز ، وتحكى عن أبى حنيفة ؟ قلت : الخشية فى هذه القراءة استعارة والمعنى : إنما يجلهم الله ويعظمهم كما يجل المهيب المخشىّ من الرجال من بين جميع عباده . ا . هـ كلام القرطبى .

— إن الله تعالى يخاطب الناس على قدر عقولهم ، وبالوسيلة التى يفهمون بها ، وفى عهد الرسالة الإسلامية كانت اللغة هى الوسيلة الوحيدة للتفاهم والتبليغ ، ولكن الله تعالى وهو علاّم الغيوب ، كان يعلم أن مستقبل البشر سيأتى بوسيلة أخرى تضاعف من قدراتنا على فهم عظمة الله وهى العلم (الذى يكشف لنا عن وجود الفيروسات فى دقائقها والمجرات فى أحجامها) ولذلك قال تعالى : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » باعتبار أنهم فى وقت قادم سيعرفون من عظمة الله ما لا هو معروف للبشر فى عهد النبى ، ولذلك لم يهمل وسيلة العلم فى فهم عظمة الخالق ، وهذا تفسير لاقتراحى على الأزهر أن ينشىء قسما أعلى يدرّس فيه العلم فيما وصل إليه من مستويات معاصرة ...

* * *

(١٢) الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان (٨٠ — ١٥٠ هـ)
(٦٩٩ — ٧٦٧ م)

صاحب مذهب الحنيفية، أحد مذاهب أهل السنة الأربعة في الإسلام. ولد بالكوفة من أصل فارسى، لم تمنعه تجارة الحرير من طلب العلم والنبوغ فيه، فأخذ الفقه عن حماد بن أبى سليمان، وروى عن التابعين وتابعيهم من أهل العراق والحجاز.

منهجه الأخذ من الكتاب والسنة وآراء الصحابة وفتاواهم، وهو مع ذلك يأخذ بالقياس والاستحسان، ويحترم العرف، ويأخذ به، وقد وصف بأنه من مجددى الإسلام فى عصره.

ونراه مع ذلك لم يسلم، على فضله، من العنت والأذى حتى مات على أثر تعذيب الخليفة العباسى أبو جعفر المنصور له. صار مذهبه بعد ذلك مذهباً رسمياً للدولة العباسية، وللدولة العثمانية، وفى مصر أيضاً.

* * *

(١٣) غفران الله للصالحين من أهل الكتاب والذين لا يشركون به شيئاً ويعظمونه ويوحدونه، نزلت فيه عدة آيات لا يعلم تأويلها إلا الله، وقد أورد السيد رشيد رضا عليه الرحمة والرضوان

في تفسير المنار في تفسيره هذه الآية : ص ٣٣٦ جزء أول :

« إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » البقرة ٦٢ . هذه الآية يوضحها الحديث الذى أخرجه ابن جرير وابن أبى حاتم عن السدى قال :

التقى ناس من المسلمين واليهود والنصارى فقال اليهود للمسلمين : نحن خير منكم وديننا قبل دينكم ، وكتابنا قبل كتابكم ، ونبينا قبل نبيكم ، ونحن على دين إبراهيم ، ولن يدخل الجنة إلا من كان هوداً ، وقالت النصارى مثل ذلك ، فقال المسلمون : كتابنا بعد كتابكم ، وديننا بعد دينكم ، وقد أمرنا أن تتبعونا ، نحن خير منكم نحن على دين إبراهيم وإسماعيل وإسحق ، ولن يدخل الجنة إلا من كان على ديننا . فأنزل الله تعالى : « ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب ، من يعمل سوءاً يُجزَ به ولا يجد من دون الله ولياً ولا نصيراً » (١٢٣ النساء)

قال السيد رشيد رضا : أى أن حكم الله العادل سواء وهو يعاملهم سنّة واحدة لا يحابى فيها فريقاً ويظلم فريقاً ، وحكم هذه السنة أن لهم أجرهم المعلوم بوعد الله لهم على لسان رسولهم

ولا خوف عليهم من عذاب الله يوم يخاف الكفار والفجار مما يستقبلهم ولاهم يحزنون على شيء فاتهم ...»

يقول السيد رشيد رضا فى الإيمان بالعقل «ذهب جمهور الحنفية وكذلك المعتزلة إلى أن أصول الاعتقاد تدرك بالعقل فلا تتوقف المؤاخذة عليها علي بلوغ دعوة رسول ، وإنما يجيء الرسل مؤكدين لما يفهم العقل موضحين له ومبينين أموراً لا يستقل بإدراكها : كأحوال الآخرة وكيفيات العبادة التى ترضى الله تعالى .

« ... ويقول الإمام الغزالى إن الناس فى شأن بعثة النبى ﷺ أصناف ثلاثة :

١ — من لم يعلم بها بالمرة — أى كأهل أمريكا لذلك العهد — وهؤلاء ناجون حتما (أى إن لم تكن بلغتهم دعوة أخرى صحيحة) .

٢ — ومن بلغته الدعوة على وجهها ولم ينظر فى أدلتها إهمالا أو عناداً أو استكباراً وهؤلاء مؤاخذون حتما .

٣ — ومن بلغته على غير وجهها أو مع فقد شرطها ، وهو أن تكون على وجه يحرك داعية النظر ، وهؤلاء فى معنى الصنف الأول .

(وأقول) عبارته فى كتاب فيصل التفرقة فى هذا الصنف هى :
وصنف ثالث بين الدرجتين بلغهم اسم محمد ولم يبلغهم نعته وصفته ، بل سمعوا منذ الصبا أن كذاباً مدلساً إسمه محمد ادعى النبوة ، كما سمع صبياننا أن كذابا يقال له المقفع (لعنه الله) تحدى بالنبوة كاذبا ، فهؤلاء عندى فى معنى الصنف الأول فإن أولئك مع أنهم لم يسمعوا اسمه لم يسمعوا ضد أوصافه ، وهؤلاء سمعوا ضد أوصافة ، وهذا لا يحرك داعية النظر فى الطلب . ا . هـ .

وأقول فى حل معنى الآية على هذا : إن أهل الأديان الإلهية ، وهم الذين بلغتهم دعوة نبي على وجهها وشرطها إذا آمنوا بالله واليوم الآخر على الوجه الصحيح الذى بينه نبيهم وعملوا الأعمال الصالحة فهم ناجون مأجورون عند الله تعالى ، وإذا آمنوا على غير الوجه الصحيح كالمشبهة والحلولية والاتحادية وغيرهم ، فلا ينالهم من هذا الوعد شيء بل يتناولهم الوعيد المذكور فى الآيات الأخرى ، وكذلك حال الذين يؤمنون بأقوالهم دون أعمالهم ، فإن الإيمان الصحيح هو صاحب السلطان الأعلى على القلب ، والإرادة التى تحرك الأعضاء فى الأعمال ... » ، « ولا يعقل أن يكون من لم تبلغهم الدعوة بشرطها أو مطلقا ناجين على سواء ، وأن يكونوا

كلهم فى الجنة كأتباع الرسل فى الإيمان الصحيح والعمل الصالح . إذ لو صح هذا لكان بعث الرسل شراً من عدمه بالنسبة إلى أكثر الناس ، والمعقول الموافق للنصوص أن الله تعالى يحاسب هؤلاء الذين لم تبلغهم دعوة ما بحسب ما عقلوا واعتقدوا من الحق والخير ومقابلهما » ا . هـ كلام السيد رشيد رضا ص ٣٣٨ — ٣٣٩ تفسير المنار ج أول طبعة المنار .

* * *

(١٤) ابن سينا (٣٧٥ — ٤٢٨ هـ) (٩٨٠ — ١٠٣٦ م)

فيلسوف وطبيب مسلم . أصبح حجة فى الطب والفلك والرياضة والفلسفة قبل سن العشرين . تنقل بين قصور الأمراء مشتغلا بالتعليم والسياسة وتدبير شئون الدولة ، توفى بهمذان .

قسم الفلسفة إلى ثلاث : المنطق للوجود الذهنى ، الطبيعيات للوجود المادى المحسوس ، الإلهيات للوجود العقلى .

أما من ناحية علم النفس فهو يتبع أفلاطون وأرسطو .

وهو يدين بنظرية الفيض التى تشرح فى نظره كيفية صدور الكثرة عن الواحد .

* * *

(١٥) الآية ٧٧ من سورة المائدة :

« قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ، ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل » .

فالله تعالى يصف المغالاة والتطرف فى الدين بالضلال والإضلال « ضلوا وأضلوا » وينهانا أن نفعل مثل أهل الكتاب ونغلو فى ديننا ، فالنصارى أكثرهم ألّهوا عيسى عليه السلام ونحن منهيون عن تأليه محمد عليه السلام ، واليهود غالوا فى عصبيتهم وتطرفهم فى تصور « شعب الله المختار » فضلوا وأضلوا .

* * *

(١٦) ﴿ وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شىء ثم إلى ربهم يحشرون ﴾ . سورة الأنعام الآية ٣٨

* * *

(١٧) ﴿ ولقد همت به وهمّ بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء إنه من عبادنا المخلصين ﴾ الآية ٢٤ من سورة يوسف فى القرآن الكريم قد اختلفت فيها التفسيرات .

وقد جاء فى « القرطبي » بشأنها الآتى :

قال أبو حاتم : كنت أقرأ غريب القرآن على أبى عبيدة فلما أتيتُ على : « ولقد همت به وهم بها » الآية ، قال أبو عبيدة : هذا على التقديم والتأخير ، كأنه أراد ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها . . . وقال أحمد بن يحيي : أى همت زليخا بالمعصية ، وكانت مصرة ، وهم يوسف ولم يواقع ماهم به ، فبين الهمتين فرق .

وقيل : هم بها تمنى زوجيتها . وقيل هم بها أى بضربها ودفعها عن نفسه ، والبرهان كفه عن الضرب ، إذ لو ضربها لأوهم أنه قصدها بالحرام فامتنعت فضربها . وقيل إن هم يوسف كان «معصية» ، وأنه جلس منها مجلس الرجل من امرأته ، وإلى هذا القول ذهب معظم المفسرين وعامتهم ، فيما ذكر القشيرى أبو نصر ، وابن الإنبارى ، والنحاس ، والماوردى وغيرهم .

قال ابن عباس : حل الهميان وجلس منها مجلس الخائن ، وعنه : استلقت على قفاها وقعد بين رجليها ينزع ثيابه .

قال سعيد بن جبير : أطلق تكة سراويله ، وقال مجاهد : حل السراويل حتى بلغ الإليتين ... وجلس منها مجلس الرجل من امرأته . قال ابن عباس : ولما قال : «ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب» قال له جبريل : ولا حين هممت بها يا يوسف ؟ فقال عند ذلك :

« وما أبرىء نفسى» قالوا : والانكفاف فى مثل هذه الحالة دال على الإخلاص ، وأعظم للثواب . قلت : وهذا كان سبب ثناء الله تعالى على ذى الكفل ... وجواب « لولا » علي هذا محذوف ، أى لولا أن رأى برهان ربه لأمضى ماهمّ به ... انتهى كلام القرطبى .

— ولقد رفض الإمام ابن قتيبة تفسير الهم بالفرار أو الضرب وردّه ، فقال فى كتابه تأويل مشكل القرآن ص ٤٠٣ — ٤٠٤ «يستوحش كثير من الناس من أن يلحقوا بالأنبياء ذنوباً ، ويحملهم التنزيه لهم صلوات الله عليهم على مخالفة كتاب الله عز وجل واستكراه التأويل ، وعلى أن يلتمسوا لألفاظه المخارج البعيدة بالحيل الضعيفة وذلك كتأويلهم لقوله سبحانه وتعالى : «ولقد همت به وهم بها» أنها همت بالمعصية وهم هو بالفرار منها !! وقال بعضهم : وهم بضربها !!! والله تعالى يقول : « لولا أن رأى برهان ربه » أفتراه أراد الفرار منها أو الضرب لها ، فلما رأى برهان ربه أقام عندها وأمسك عن ضربها ؟!! هذا ما ليس به خفاء ولا يغلط متأوله ، ولكنها همت بالمعصية همّ نية واعتقاد ، وهمّ نبي الله ﷺ هماً عارضاً بعد طول المراودة ، وعند حدوث الشهوة التى أتِىَ أكثر الأنبياء فى هفواتهم منها ، روى الإمام أحمد فى مسنده عن ابن عباس أنه

رسول الله ﷺ قال : «ما من أحد من ولد آدم إلا وقد أخطأ أو هم بخطيئة ليس يحي بن زكريا» انتهى كلام الحافظ ابن قتيبة .

وإن كان الحافظ ابن كثير في قصص الأنبياء يميل إلى الفصل بأنه لم يقع في الفاحشة وأن الله أعلم بتأويل باقي الآيات .

* * *

(١٨) قولي إن الله خالق القانون ليس فوق القانون وهو الحريص عليه بمعنى أن الله لا يحطم القوانين التي وضعها للبشر ولا يخرج عليها وإن كان هو خالقها ، إذ بإمكانه يوم القيامة معاقبة المحسن وإثابة المسيء ، وألا يكون الجزاء على قدر العمل ، ولكن الله لا يخلف الميعاد ، وإن كان يستطيع خلفه ، فهو يحترم قانونه ولا يخرج عليه فيثيب المحسن ويعاقب المسيء «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره» و «كتب ربكم على نفسه الرحمة» . الخ

* * *

(١٩) ﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا﴾ . (سورة الإسراء آية ٧)

* * *

(٢٠) ﴿ من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ﴾ . (سورة الإسراء الآية ١٥)

* * *

(٢١) حديث خلق العقل :

— أورده الإمام القرطبي فى تفسير قوله تعالى : « نٓ والقلم وما يسطرون » الآية ١ من سورة القلم . قال :

روى الوليد بن مسلم قال : حدثنا مالك بن أنس عن سمى مولى أبى بكر عن أبى صالح السمان عن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أول ما خلق الله القلم ، ثم خلق النون وهى الدواة ، وذلك قوله تعالى : « نٓ والقلم » ثم قال له اكتب ، قال : وما أكتب ؟ قال : ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة من عمل أو أجل أو رزق أو أثر ، فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة — قال — ثم خُتم فم القلم فلم ينطق ولا ينطق إلى يوم القيامة . ثم خلق العقلَ ، فقال الجبار : ما خلقت خلقاً أعجب إلىّ منك ، وعزّتى وجلالى لأكملنك فيمن أحببت ولأنقصك فيمن أبغضت . قال ثم قال رسول الله ﷺ « أكمل الناس عقلا أطوعهم لله وأعملهم بطاعته » .

— كذلك أورد هذا الحديث الحافظ ابن كثير فى تفسيره الآية من سورة القلم قال :

رواه ابن عساكر عن أبى عبد الله مولى بنى أمية عن أبى صالح عن أبى هريرة .

* * *

(٢٢) الآية ١١٠ سورة الكهف وتمامها ، « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىّ أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » .

﴿ فصل ﴾ عصمة الأنبياء ومتعلقها جواز الخطأ فى الاجتهاد عليهم (تفسير المنار ج ٢١ ص ٢١٢)

المتكلمون استدلوا علي ما سموه عصمة الأنبياء بالعقل لا بالنقل ، وتأولوا الآيات والأحاديث الواردة بوقوع الذنوب منهم بل الدالة على إمكانها ، وليس المراد بدلالة العقل علي عصمتهم أنها كعصمة الملائكة منافية لطباعهم ، فإن مما فضلوا به على الملائكة أنهم بشر كسائر البشر جبلوا علي الشهوات الجسدية ، وداعية كل من المعصية والطاعة ، كما علم من قصة أبيهم آدم ، ولكنهم بقوة الإيمان ومعرفة الله عز وجل والخوف منه والرجاء فيه والحب له يرجحون الطاعة

على المعصية بملكة راسخة فيهم ، يعصمهم الله تعالى بها من الخطأ فى التبليغ ، ومن الكتمان لشىء مما أمروا به منه ، ومن مخالفته ، ومن الرذائل والمعاصى المنافية للرسالة ، المبطلة للحجة ، دون الخطأ فى الاجتهاد والرأى ، والذى لا يخالف نص الوحى، فإذا وقع منهم بهذا الاجتهاد ما كان الخير والكمال لهم فى علم الله خلافه ، بينه الله لهم تعليما ، وعلمهم ما هو الأليق بهم تربية وتكميلا . ومنه اجتهاد نوح الذى رجع له بالحنان الأبوى جواز دخول ابنه الكافر فيمن وعده الله بنجاتهم كما بيناه فى موضعه ، ولم يعلم أن سؤاله ربه ما ليس له به علم قطعى ممنوع إلا بعد أن سأله نجاة ولده فأجابه بهذه الموعظة ؛ وكذلك فصلنا هذه المسألة فى تفسير أخذ النبي الفداء من أسرى بدر من سورة الأنفال (٦٧) وتفسير عتاب الله لنبيه على الإذن لبعض المنافقين فى التخلف عن غزوة تبوك والعفو عنه فى سورة التوبة (٤٣)

* * *

(٢٣) حديث « حبب إلىّ من دنياكم ثلاث : النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة » .

— رواه أحمد والنسائى والحاكم والبيهقى .

— رواه الطبرانى فى الأوسط من حديث الأوزاعى .

— وكذا فى الصغير .

— ورواه الخطيب فى تاريخ بغداد .

— والنسائى فى السنن .

— والحاكم فى المستدرك .

— رواه مؤمل بن إهاب فى جزءه الشهير وابن عدى فى الكامل ، وأحمد ، وأبو يعلى ، وأبو عوانة فى مستخرجه الصحيح والبيهقى فى السنن .

— والسخاوى فى جزء خاص أفرده لهذا الحديث وذكره فى « المقاصد الحسنة » .

— وتكلم الإمام ابن فورك عليه فى جزء وشرحه .

— وكذا ذكره الغزالى فى الإحياء .

— وأخرجه الحافظ العراقى فى أماليه .

ولا يكاد يخلو منه كتاب من الكتب المعتمدة ، واختلافها على لفظ « ثلاث » فقط ، ولكن نص الحديث فيها : « حبب إلىّ النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة » .

* * *

(٢٤) « قل يا أهل الكتاب لستم على شىء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم » . الآية ٦٨ سورة المائدة .

* * *

(٢٥) حـديث « إنك لاتفضلهم إلا بالتقوى » أورده الإمام القرطبي فى تفسير قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ الآية ١٣ سورة الحجرات . قال نزلت الآية فى أبى هند ذكره أبو داود فى المراسيل : حدثنا عمرو بن عثمان وكثير بن عبيد قالا حدثنا بقية بن الوليد ، قال حدثنى الزهرى قال : أمر رسول الله ﷺ بنى بياضة أن يزوّجوا أبا هند امرأةً منهم ، فقالوا لرسول الله ﷺ : نزوج بناتنا موالينا ؟ ! فأنزل الله عز وجل : «إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً ...» قال الزهرى : نزلت فى أبى هند خاصة ، وقيل : إنها نزلت فى ثابت بن قيس ابن شماس ، وقوله فى الرجل الذى لم يتفسح له : ابن فلانة ، فقال النبى ﷺ : مَن الذاكر فلانة ؟ قال ثابت : أنا يا رسول الله ، قال النبى ﷺ : «انظر فى وجوه القوم» فنظر ، فقال : ما رأيتَ ؟ قال رأيت أبيض وأسـود وأحمر ، فقال « فإنك لا تفضلهم إلا بالتقوى » ١٠ هـ .

ـــ كذلك أخرجه الحافظ ابن كثير : قال الإمام أحمد حدثنا وكيع عن أبى هلال عن بكر عن أبى ذر رضى الله عنه قال إن النبى

ﷺ قال له : « انظر فإنك لست بخير من أحمر ولا أسود إلا أن تفضله بتقوى الله » تفرّد به أحمد رحمه الله .

* * *

(٢٦) حديث : « اطلبوا العلم ولو في الصين » .

— أورده الإمام الغزالي فى كتاب العلم من إحياء علوم الدين .

— وقال العراقى أخرجه ابن عدى فى الكامل والبيهقى فى الشعب .

— وأخرجه ابن عبد البر فى العلم من رواية أبو عاتكة .

— وأخرجه ابن عبدالبر أيضاً من رواية الزهرى عن أنس .

— وأخرجه ابن عدى أيضاً من رواية الفضل بن موسى عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة رفعه ، ثم قال هذا من وضع الجويبارى لابن كرام باطل بهذا الإسناد ا . هـ .

— قال السيد مرتضى الزبيدى : وحديث أنس أيضاً أخرجه الخطيب « فى الرحلة » والديلمى فى « مسند الفردوس » وزادا كالبيهقى وابن عبد البر بآخره : « فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم » .

وقال أيضاً : وقد روى هذا الحديث عن أبى عاتكة ستة :

محمد بن غالب التمتام وجعفر بن هاشم والحسن بن علي بن عباد وأبو بكر الأعين والعباس بن طالب والحسن بن عطية ، وقد خرج الخطيب فى الرحلة من طرق هؤلاء ، وكذا البيهقى والديلمى وابن عدى والعقيلي وتمام .

— وأورده الإمام القرطبي فى كتابه « جامع بيان العلم وفضله » وخرّجه تخريجاً وافياً .

* * *

(٢٧) ﴿ وإذ قال إبراهيم ربِّ أرنى كيف تحيي الموتى قال : أولم تؤمن ؟ قال : بلى ولكن ليطمئن قلبي ، قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعوهن يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم ﴾ .

(سورة البقرة آية ٢٦٠)

* * *

(٢٨) حديث « لا ينبغى للجاهل أن يسكت على جهله ولا للعالم أن يسكت على علمه » :

— أورده الإمام الغزالى من كتاب الإحياء .

— أورده صاحب القوت ، فقال : وكذلك روينا عن رسول الله

« لا ينبغى للجاهل أن يستقر على جهله ولا ينبغى للعالم أن يسكت على علمه » وقد قال الله تعالى « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » . . . (انظر بقية تخريجه فى الإحياء) .

* * *

(٢٩) تمام حديث « وهل ينفع القرآن إلا بالعلم ؟! » .

أورده الإمام الغزالى فى كتاب العلم من إحياء علوم الدين قال :

« وفى حديث أبى ذر رضى الله عنه : حضور مجلس عالم أفضل من صلاة ألف ركعة ، وعيادة ألف مريض ، وشهود ألف جنازة ، فقيل يارسول الله ومن قراءة القرآن ؟ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : وهل ينفع القرآن إلا بالعلم ! » .

وذكر السيد مرتضى فى تخريجه : أن ابن الجوزى ذكره فى الموضوعات ، وإن كان السيد مرتضى الزبيدى قد وجد لهذا الحديث طريقاً آخر أخرجه ابن ماجه كما فى الذيل للسيوطى والحاكم فى تاريخه ، كما فى الجامع الكبير له فى مسند أبى ذر ولفظه :

« يا أبا ذر لأن تغدو فى أن تعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلى مائة ركعة ، وأن تغدو فتتعلم باباً من العلم عمل به أو لم يعمل به خير من أن تصلى ألف ركعة تطوعاً . . . » .

* * *

(٣٠) ﴿قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ .
(سورة الزمر من الآية ٩)

* * *

(٣١) ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ .
(سورة الرعد الآية ١١)

* * *

(٣٢) ﴿من جاء بالحسنة فله عَشرُ أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون﴾ .
(سورة الأنعام الآية ١٦٠)

* * *

(٣٣) ﴿إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم﴾ .
(سورة التغابن من الآية ١٧)

* * *

(٣٤) ﴿وأما بنعمة ربك فحدّث﴾ (سورة الضحى الآية ١١)

* * *

(٣٥) ﴿ تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن ﴾ .
(سورة الإسراء من الآية ٤٤)

* * *

(٣٦) ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾
(سورة يس آية ٨٢)

* * *

(٣٧) ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ . (سورة الاسراء آية ٨٥)

* * *

(٣٨) ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم ﴾ .
(سورة البقرة آية ٢٥٦

* * *

(٣٩) حديث : « تفكر ساعة خير من عبادة سنة »
— أورده الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى ﴿ ويتفكرون

فى خلق السموات والأرض﴾ (سورة آل عمران ١٩٠) .

— وأورده الإمام الغزالى فى الإحياء بلفظ « كلمة من الحكمة يسمعها المؤمن فيعمل بها ويعلمها خير له من عبادة سنة صيام نهارها وقيام ليلها » قال الحافظ العراقى :

رواه الديلمى فى مسند الفردوس من رواية محمد بن محمد ابن على بن الأشعث : حدثنا شريح بن عبد الكريم التميمى ، حدثنا أبو الفضل جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، حدثنا الوليد بن مسلم عن الأوزاعى عن حسان بن عطية عن محمد بن أبى عائشة عن أبى هريرة رضى الله عنه رفعه فذكره دون قول فيعمل بها ويعلمها ...

وقال السيد مرتضى فى تخريجه « رواه الديلمى أيضا عن أبى هريرة : كلمة يسمعها الرجل خير له من عبادة سنة والجلوس عند مذاكرة العلم خير من عتق رقبة » .

* * *

(٤٠) حديث « لا عبادة كتفكر » :

أورده الإمام القرطبي فى تفسير قوله تعالى : ﴿ويتفكرون فى خلق السموات والأرض﴾ ١٩٠ آل عمران .

(٤١) حجة الإسلام أبو حامد محمد الغزالى (٤٥١ هـ — ١٠٥٨ م) (٥٠٥ هـ — ١١١١ م)

صار إمام الحرمين وانتشر ذكره فى الآفاق وقام بالتدريس فى المدرسة النظامية فى بغداد، ثم حج وترك الدنيا، واختار الزهد والعبادة، وبالغ فى تهذيب الأخلاق، ودخل بلاد الشام، وصنف كتباً كثيرة أشهرها: إحياء علوم الدين، جعله على أربعة أرباع: ربع العبادات، وربع العادات، وربع المهلكات، وربع المنجيات

ثم عاد إلى خراسان مواظباً على العبادات إلى أن انتقل إلى جوار ربه سنة ٥٠٥ هـ — ١١١١ م بمدينة طوس بخراسان عن ٥٤ عاماً، له فى التوحيد كتاب المنقذ من الضلال والموصل إلى ذى العزة والجلال، وله « مقاصد الفلاسفة »، وله أيضاً « تهافت الفلاسفة » وله كتاب « مكاشفة القلوب »، وله أيضاً « منهاج العابدين » . ويسميه أهل السنة بحجة الإسلام .

* * *

(٤٢) حديث « ... إن الله جميل يحب الجمال ... »

أورده الإمام القرطبي قال : روى مكحول عن عائشة قالت : كان نفر من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه على الباب فخرج يريدهم، وفى الدار ركوة فيها ماء فجعل ينظر فى الماء ويسوى لحيته

وشعره ، فقلت يا رسول الله وأنت تفعل هذا ؟ قال : نعم إذا خرج الرجل إلى إخوانه فليهيىء من نفسه ، فإن الله جميل يحب الجمال [٢٧٦ مختار تفسير القرطبي] فى تفسير سورة الأعراف .

* * *

(٤٣) حديث « كان رسول الله يسافر بالمشط والمرآة والدهن والسواك والكحل » .

— أورده البيهقى فى السنن .

— وأورده الإمام القرطبي قال : روى محمد بن سعد أخبرنا الفضل بن دكين قال : حدثنا منمل عن ثور عن خالد بن معدان قال : « ... الحديث » .

— ذكره الإمام الطبرانى فى الأوسط .

— وأورده الإمام الغزالى فى آداب المسافر وزاد فى رواية أخرى ستة أشياء : المرآة والقارورة والمقراض والسواك والمشط » .

* * *

(٤٤) ﴿لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم﴾ .
(سورة التين آية ٣)

* * *

(٤٥) الشاعر الألمانى هو: رينر ماريا ريلكه (١٨٧٥-١٩٢٦) شاعر فيلسوف ولد فى «براغ» من أصل نمساوى ، وهب نفسه للفن وجاب أنحاء النمسا وألمانيا وإيطاليا وفرنسا ، وكانت رحلته إلى الروسيا دافعاً قوياً لنزعته الصوفية . ثم جاءت صداقته وملازمته للمثال « أوجست رودان » (١٨٤٠—١٩١٧) تصقل مواهبه وتضيف عمقاً إلى نظرته الفنية وفلسفته . وقد كتب كتاباً عن « رودان » بعد وفاته ، وله محاولة وحيدة فى القصة وأخيراً أشعاره الرائعة التى ترجمت لأكثر من سبع لغات تحت عنوان « دوينيزر إيليجيان » وتوفى فى سويسرا مخلفاً فناً خالداً . ويعد من أبرز شعراء ألمانيا فى العصر الحديث .

* * *

(٤٦) ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد﴾ (سورة فاطر آية ١٥)

* * *

(٤٧) مسرحية لويس الحادى عشر (١٨٣٢)

تراجيديا فرنسية من خمسة فصول من تأليف كازيمير دى لافيق وتدور المسرحية فى أخريات أيام لويس الحادى عشر : فيظهر الملك

كاذب وضعيف وشرس كثير الوسوسة بين أطبائه المعالجين .
وبالقرب منه يعيش « كومين » وإبنته « ماری » التی تقع فی حب « تیمور » الذی لقی أبوه وإخوته حتفهم على يد الملك منذ زمن ، والذی تخفی تحت اسم مستعار ويعمل سفيراً لأحد الدوقة . ولكن مكر الملك استطاع أن ينزع السر من ابنته ، فيلقی القبض عليه ويودعه السجن . ولكن أحد أطباء الملك (كواتييه) ساعد تيمور على الهرب ، ولكنه يظل متخفياً فی غرفة الملك حيث يستمع إلى اعترافاته لأحد المقربين للملك ، وتعتبر هذه الاعترافات قمة المسرحية . ويتردد تيمور فی قتل الملك مفضلاً تركه نهباً لهواجسه وشعوره بالذنب .

وهكذا تمضی المسرحية بأسلوب كلاسيكی ، فی شكل رائع فقد جمع المؤلف بين فن الرومانسية والمواقف الدرامية ونقد الشخصيات وتحليل الأوضاع الإجتماعية . ولم تخل هذه المسرحية من الكوميديا الخفيفة .

* * *

(٤٨) أحمد لطفی السيد : ١٨٧٢ — ١٩٦٣

مفكر وفيلسوف مصری ورائد من رواد الحركة الوطنية ولد بالدقهلية ، حصل علي ليسانس الحقوق ١٨٩٤ ، عمل بالقضاء ، استقال من منصبه ١٩٠٥ واشتغل بالسياسة ، شارك فی تأسيس

حزب الأمة وتولى رئاسة تحرير الجريدة حتى ١٩١٤ ،عين مديراً لدار الكتب ١٩١٥ / ١٩١٨ فمديراً للجامعة المصرية ١٩٢٥ ، فوزيراً للمعارف ١٩٢٨ وعاد إلى إدارة الجامعة ١٩٣٠ ، ثم استقال ١٩٣٢ ، وفى ١٩٣٨ عاد للمرة الثالثة مديراً للجامعة ، عين عضواً بمجمع اللغة العربية ١٩٤٠ ، فرئيساً للمجمع ١٩٤٥/١٩٦٣ ثم عين وزيراً للخارجية ١٩٤٦ ، فنائباً لرئيس الوزراء وعضواً بمجلس الشيوخ ، أسهم فى عدة مجامع وجمعيات علمية ، ترجم لأرسطو وجمعت خطبه ومقالاته وأحاديثه ، نال جائزة الدولة التقديرية فى العلوم الاجتماعية ١٩٥٨ .

* * *

(٤٩) عبد العزيز فهمى « باشا » (١٨٧٠ — ١٩٤٨)

سياسى مصرى درس الحقوق واشتغل بالمحاماة ، وبرز فيها .

وهو من أقطاب حزب الوفد حتى ١٩٢١ ، هو أحد الثلاثة الذين قابلوا المعتمد البريطانى فى ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ لتقديم طلبات مصر . وفى عام ١٩٢٣ أصبح عضواً فى لجنة الدستور ، ثم وزيراً للحقانية (العدل) ١٩٢٥ ورئيساً لمحكمة النقض .

وبعد ذلك انتخب رئيساً لحزب الأحرار الدستوريين خلفاً لعدلي « باشا » يكن عام ١٩٢٤ . ثم اعتزل السياسة لفترة من الزمن وانصرف للأدب والمحاماة ، ولكنه عاد إلى رياسة الحزب بعد وفاة محمد محمود « باشا » عام ١٩٤١ وانتخب فى نفس العام عضواً فى الجمعية التشريعية المصرية ، ثم ١٩٤٢ نقيباً للمحامين ، ثم رئيساً للمجمع اللغوى حتى وفاته عام ١٩٤٨ .

وكان له نشاط ملحوظ وجرىء فى المجمع اللغوى ، وهو من أنصار حرية الفكر ودعا إلى تحرير اللغة العربية من القيود الشكلية وأعد بحثاً مطبوعاً فى ذلك ، وقد امتدحه معظم معاصريه من الأدباء والمفكرين والسياسيين .

* * *

(٥٠) واصف « باشا » غالى :

أحد أعضاء حزب الوفد المصرى الأوائل ، درس القانون ، وعين وزيراً للخارجية ، كان يجيد الفرنسية لدرجة أنهم دعوه فى البرلمان الفرنسى لإلقاء كلمة أثناء زيارته لفرنسا وقد أشادوا ببلاغة فرنسيته .

اختير ليشغل كرسى عبد العزيز فهمى فى المجمع اللغوى ولكنه اعتذر ، واختير توفيق الحكيم ليشغل ذلك الكرسى خلفاً للاثنين .

(٥١) د. عبد الحميد بدوى :

مشرع مصرى ولد عام ١٨٨٧ تخرج من مدرسة الحقوق ، ثم أكمل دراسته بجامعة جرينوبل حيث حصل على الدكتوراه ... فى ١٩٢٢ عين مستشاراً قانونياً ، ثم كبيراً للمستشارين فى عام ١٩٢٦ ، وفى ١٩٤١ عين وزيراً للمالية ، ثم وزيراً للخارجية عام ١٩٤٥ — ١٩٤٦ وزارة النقراشى ... وفى هذه السنة انتخب قاضياً بمحكمة العدل الدولية بلاهاى ، ثم نائباً لرئيس المحكمة ... كان يتولى رئاسة الجمعية المصرية للاقتصاد السياسى والإحصاء والتشريع ، توفى سنة ١٩٦٦ .

* * *

(٥٢) جول لومتر ١٨٥٣ — ١٩١٤

أديب فرنسى من مواليد ١٨٥٣ اشتغل بالتدريس العالى فى مستهل حياته ، ثم نال لقب الدكتوراه عن رسالته : « الكوميديا بعد موليير ومسرح دانكور » وكانت باكورة أعماله الشعرية بعد التفرغ من التدريس هى « القليدات » و « الشرقيات الصغيرات » ثم تخصص فى النقد المعاصر فى كبرى الدوريات

والمجلات الأدبية ، وقد جمعت فيما بعد فى مجلدات تحت عنوان « المعاصرون » . وقد كتب بعد ذلك نقداً مسرحياً رائعاً تحت عنوان « إيحاءات من المسرح » وقد اتسمت أعماله النقدية بالوضوح والسلاسة بجانب العمق والتحليل ، ونراه قد كتب مسرحيات ناجحة أهمها : ثائرة — الوحيدة — الزواج الأبيض — الملوك — الغفران ... وغيرها . ثم انتخب فى الأكاديمية الفرنسية (١٨٩٥) . ثم نراه فى أخريات حياته قد اهتم بالمسائل الحيوية والنقد الموضوعى .

* * *

(٥٣) على عبد الرازق وكتاب «الإسلام وأصول الحكم» :

عندما ألغى «مصطفى كمال» الخلافة العثمانية التركية سنة ١٩٢٤ انتهز هذه الفرصة بعض ملوك العرب الذين يدينون لإنجلترا بالجلوس على عروشهم ، وأخذوا يسعون لإقامة خلافة لهم على المسلمين فى سائر البلاد ، وكان من الملوك الذين طمعوا فى هذه الخلافة « أحمد فؤاد الأول » الملك فؤاد ، وأنشأ لهذا الغرض مجلة سماها مجلة الخلافة .

وفى هذا الوقت قام الشيخ علي عبد الرازق (من علماء الأزهر)

بتأليف كتابه « الإسلام وأصول الحكم » يناوىء به طمع الملك فؤاد بطريقة خفية ، وأنكر في كتابه الخلافة الإسلامية من أصولها ، وادّعى أنها ليست في شيء من الإسلام لأنه ترك أمور الدنيا للبشر يتدبرونها ، فأثار كتابه فتنة كبرى بين المسلمين ؛ فأكثرهم أنكر آراء الشيخ على عبد الرازق ، ولم ينتصر له إلا عدد قليل ، وكان على رأس المنكرين له علماء الأزهر .

وأوحى إلى هيئة كبار العلماء في الأزهر بمحاكمته ، ورأس المحاكمة الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوى شيخ الجامع الأزهر آنذاك وانتهت المحاكمة «بإخراج الشيخ على عبد الرازق أحد علماء الأزهر والقاضى الشرعى بمحكمة المنصورة الشرعية ومؤلف كتاب الإسلام وأصول الحكم — من زمرة العلماء » .

وكان عبد العزيز باشا فهمى وقتذاك وزيراً للحقانية ، وكان عليه أن يعزل الشيخ علي عبد الرازق من وظيفة القضاء الشرعى ، ولكن عبد العزيز فهمى رفض تنفيذ الحكم ، وقرر تحويله على مستشارى لجنة القضايا ليفصلوا : هل هيئة كبار العلماء مختصة بالنظر فى جريمة على عبد الرازق أم لا ؟ فغضب « يحيي باشا إبراهيم» رئيس الوزراء بالنيابة وذهب إلى الملك فؤاد وأخبره بأمر

عبد العزيز فهمى ، ثم عاد إليه وطلب منه الاستقالة فرفض عبد العزيز فهمى الاستقالة ، وقال له يحيى إبراهيم باشا : إذن أقيلك ، فقال له : أقِل كما تريد .

وقد خلع الشيخ على عبد الرازق بعد الحكم عليه العمامة ولبس الطربوش ثم سافر إلى فرنسا ، والتحق بإحدى جامعاتها ، ومكث بها إلى أن حصل على شهادة منها ، ثم عاد إلى مصر ، واشتغل بالمحاماة فى المحاكم الشرعية ، ثم رشح نفسه لمجلس النواب فنجح ، ومرت الأيام وصار وزيراً للأوقاف — وكان الشيخ المراغى آنذاك شيخاً للأزهر ، وهو الذى أعاد العالمية إلى الشيخ على عبد الرازق ، وألغى ذلك الحكم .

(انتهى نقلا عن القضايا الكبرى فى الإسلام للأستاذ عبد المتعال الصعيدى) .

* * *

(٥٤) الدكتور طه حسين وكتاب « فى الشعر الجاهلى »

ألقى الدكتور طه حسين محاضرات سنة ١٩٢٦ فى الشعر الجاهلى جمعها فى كتاب سماه « فى الشعر الجاهلى » أنكر فيه ما روى من الشعر الجاهلى لأنه لا يمثل الحياة الدينية والعقلية للعرب الجاهليين ،

وقد جرّه البحث فى هذا إلى إنكار قصة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وغير ذلك مما أثار عليه الناس ، وجعلهم يشكونه إلى النائب العام ، فتولى النائب العام التحقيق معه فيما نسب إليه من اتهامات ، وانتهى التحقيق إلى عدم جواز المعاقبة لعدم توفر القصد الجنائى فى الاعتداء على الإسلام ، وإنما أورد الباحث ما أورده من ذلك على سبيل البحث العلمى « وإذا انتفى القصد الجنائى عنه لا يكون عليه عقاب ، وتحفظ الشكاوى المقدمة فيه إداريًا » وقد قررت الحكومة مع ذلك الاستيلاء على الكتاب من المكاتب وغيرها ، وحالت دون انتشاره بين الناس .

* * *

(٥٥) « ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى »

(سورة الشعراء الآية ١٣)

* * *

(٥٦) عبد الملك ابن مروان بن الحكم ٢٦ هـ — ٨٦ هـ

ولد رضى الله عنه فى المدينة سنة ٢٦ هـ ونشأ نشأة علمية عالية بحفظ القرآن والحديث ، وكان أبوه مروان بن الحكم من أقرب المقربين إلى الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ولكن الفتن

ثارت بمقتل عثمان فاعتزل أبوه السياسة وبايع علياً ، ثم جاء معاوية ، ثم خلفه ابنه يزيد حتى آلت الخلافة إلى الحكم ، وخلفه عبد الملك وكان حازماً صارما اشتهر بالعلم والورع مع الحزم ، واستطاع أن يخمد الفتن ويرسل الفتوحات إلى ما وراء النهرين وبلاد المغرب .

وكان من أشهر أهل زمانه وأعلمهم بفقه وحديث ولغة .

* * *

(٥٧) ابن الأثير صاحب المثل السائر

هو ضياء الدين أبي الفتح نصر الله الموصلي الملقب بابن الأثير الجزري توفي ببغداد (٦٣٧ هـ ١٢٣٩ م) وهو الأخ الأصغر لابن الأثير المؤرخ عز الدين مؤلف « أسد الغابة في معرفة الصحابة » وكتاب « كامل التواريخ واللباب في أنساب العرب » وعدة مؤلفات أخرى ، ولد ٥٥٥ هـ وتوفي سنة ٦٣٠ هـ — ويكبرهما أخ ثالث يلقب بمجد الدين ولد ٥٤٤ هـ وتوفي سنة ٦٠٦ هـ بالموصل وهو الفقيه : له عدة مؤلفات نذكر منها « النهاية في غريب الحديث والأثر » و « جامع الأصول في أحاديث الرسول » جمع فيه بين الصحاح الستة .

— وأهم كتب ابن الأثير اللغوي الذي نحن بصدده « الوشي

المرقوم فى حل المنظوم » وكتاب « المثل السائر فى آداب الكاتب والشاعر» ويعلم المصنف فى هذين الكتابين الطالب الطريقة التى بها يتقن صناعة الكاتب والشاعر .

* * *

(٥٨) ابن خلدون

فيلسوف المؤرخين الذين صنفوا فى اللغة العربية . ولد فى تونس الغرب سنة ٧٣٢ هـ — ١٣٣٢ م وتوظف فى حكومة تونس سنة ١٣٥١ م ثم فى فاس ثم حج ثم انتهى به المطاف فى مصر وتولى فيها قضاء المالكية وتوفى بالقاهرة سنة ٨٠٦ هـ — ١٤٠٦ م .

كان فضلاً رفيع القدر ، وله فنون عقلية ونقلية فى التاريخ الكبير الذى سماه «ديوان العبر وكتاب المبتدأ والخبر فى تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر» وهو يقع فى سبع مجلدات مع المقدمة التى هى مأثرة دائمة الذكر فى فلسفة التاريخ وترجمت إلى كثير من لغات العالم وبهرت الشرق والغرب على السواء .

* * *

(٥٩) فولتير (١٦٩٤ — ١٧٧٨)

كاتب وأديب فرنسى وصاحب مدرسة فكرية فلسفية .

كتب رائعته التراجيدية « أوديب » (١٧١٨) ثم أمضى بعض سنوات فى انجلترا حيث وجد الفلسفة والحرية الفكرية واستشعر أهمية العلماء فى الحياة السياسية وفى المجتمع ، وبعد عودته كان إنتاجه يدور حول التراجيديا الفلسفية . أهمها : « بروتس » ، « زايير » ، « موت القيصر » ، « تاريخ شارل الثانى عشر » ، « معبد الأذواق » ، « ملاحظات على أفكار باسكال » ، ألزير ١٧٣٦ — محمد ١٧٤٢ — ميروب ١٧٤٣ .

وفى عام ١٧٤٥ عاد إلى باريس ليستمتع بتقربه إلى البلاط الملكى وكتب « ديوان فونتنوى » وانتخب عضواً فى الأكاديمية الفرنسية (١٧٤٧) ثم كتب قصص فلسفية (زاديج — ميكروميجاس) وسافر إلى برلين حيث كان الملك « فريدريك الثانى » فى انتظاره وأحسن ضيافته وهناك أصدر فولتير كتابه « قرن لويس الرابع عشر » (١٧٥١) واختلف الفيلسوف والملك ، فترك الأول بروسيا عائداً إلى « فرنى » بفرنسا ، وقضى هناك ثلاثة وعشرون عاماً من الإنتاج الفكرى فأبدع فى كتابة الرواية (كانديد) و (أميرة بابليون) و « القاموس الفلسفى » .

(انظر تحت شمس الفكر ـ توفيق الحكيم ـ مكتبة الآداب).

ولقد كتب توفيق الحكيم مقالا بعنوان «الدفاع عن الإسلام» سنة ١٩٣٦ فى كتابه تحت شمس الفكر هاجم فيه فولتير لاجترائه على الإسلام ونبيه ﷺ جاء فيه «قرأت لثلاث عشرة سنة خلت قصة «فولتير» التمثيلية «محمد» فخجلت أن يكون كاتبها معدوداً من أصحاب الفكر الحر ، فقد سب فيها النبي العربى سباً قبيحاً عجبت له ، وما أدركت له علة ، لكن عجبى لم يطل إذ رأيته يهديها إلى البابا بنوا الرابع عشر ...»

توفى (١٧٧٨) فى باريس مخلفاً تراثاً ضخماً وجدلا كبيراً .

* * *

(٦٠) يوهان فولفانج جوته (١٧٤٩ — ١٨٣٢)

أكبر أدباء ألمانيا فى العصر الحديث ، درس القضاء فى مستهل حياته ثم احتضنه دوق «فايمار» صديقاً ووزيراً ومستشاراً ، مما أتاح له التعرف على الأحداث والشخصيات الأدبية والعلمية والسياسية . وقد راقب وتفاعل مع القصر الملكى الألمانى خصوصاً فى المعارك الكبرى .

وكان مراسلا وصديقاً لمدام دى شتاين ثم لشيلر . وقد نجح فى الخروج بالأدب المحلى إلى العالمية .

وتنقسم أعماله إلى شعر وقصص ومسرح وأبحاث علمية ذات قيمة . وهو من أبرز من كتبوا الرمزية بعمق كما فى « فاوست» .

وهكذا نرى أن حياة «جوته» وإنتاجه يمثلان انسجام التطور المستمر ، وقد وصف فى موسوعة لاروس الفرنسية : بأنه أحد العباقرة القلائل الذين اقتربوا من حد الكمال البشرى حيث أنه أحاط بمجموع معارف واهتمامات الإنسانية .

* * *

(٦١) المتنبى

هو أبو الطيب أحمد بن عبد الصمد الجعفى الكندى ، ولد فى الكوفة سنة ٣٠٣ هـ — ٩١٥ م وهو من أشهر شعراء العرب وأشعرهم ، ولقب بالمتنبى لأنه كان قد ادعى النبوة فى بادية السماوية وتبعه خلق كثير من بنى كلب ؛ فخرج إليه والى حمص فأسره وحبسه حتى تاب ، وتفرق عنه أصحابه — قتل المتنبى ٣٥٤ هـ — ٩٦٥ م — قتله بعض اللصوص ، ولقد كانت له علاقة بسيف الدولة أمير حلب وأجزل له العطاء ، وعاش فى رغد من العيش .

* * *

(٦٢) عباس العقاد :

الكاتب الأديب والشاعر والناقد والسياسى والصحفى ولد بأسوان عام ١٨٨٩ عمل بالوظائف الحكومية ، ثم تفرغ للصحافة منذ ١٩٠٧ عمل بالدستور والمؤيد والأهرام ، ثم تعددت بعد ذلك الصحف التى عمل بها .

انتخب العقاد مرتين عضواً بمجلس النواب عن أسوان والصحراء الغربية ، كما عين عضواً بمجلس الشيوخ ، وفى خلال نيابته هاجم محاولة الملك فؤاد العبث بالدستور ، وأعلن رأيه فى المجلس بقوله : « إن الأمة على استعداد لأن تسحق أكبر رأس فى البلاد يخون الدستور ولا يصونه » فقبض عليه وسجن من أكتوبر ١٩٣٠ إلى يوليو ١٩٣١ — توفى فى ١٩٦٤ .

* * *

(٦٣) أحمد أمين (١٨٨٦م — ١٩٥٤) (١٣٠٤هـ — ١٣٧٣)

أديب مصرى ، ولد بالقاهرة عام (١٣٠٤ هـ — ١٨٨٦ م) ودرس بالأزهر ومدرسة القضاء الشرعى واشتغل حيناً بالقضاء الشرعى ، ثم عين مدرساً فأستاذاً للأدب العربى بالجامعة المصرية

منذ عام ١٩٢٦ ، فعميداً لكلية الآداب واشترك فى تأسيس لجنة التأليف والترجمة والنشر . من مؤلفاته : « فجر الإسلام » ، و« ضحى الإسلام » ، و« فيض الخاطر » توفى عام ١٢٧٣ هـ ١٩٥٤ م .

(٦٤) . منصور فهمى : (١٨٨٦—١٩٥٦ م) (١٣٠٣—١٣٧٨ هـ)

ولد بالمنصورة ١٨٨٦ م ، تخرج من مدرسة الحقوق ، وأوفد فى بعثة دراسية إلى فرنسا ، حصل من جامعة باريس على الليسانس فى العلوم ، والدكتوراه فى الفلسفة ، عاد إلى مصر وعين أستاذاً للفلسفة فى كلية الآداب ، فوكيلا لها فعميداً لها ، فمديراً لدار الكتب المصرية ، فمديراً لجامعة الإسكندرية ، ثم عضواً بمجمع اللغة العربية ، والمجمع العلمى بدمشق ، وعضواً بجمعية الشبان المسلمين بمصر .

تمت هوامش الأحاديث الأربعة

خاتمة

أما بعد ... فما هو المراد من كتابى هذا ؟ ...

المراد يا ربى هو طاعتك فيما أمرتنا به فى كتابك الكريم ... وها هى ذى آياتك العظيمة :

﴿ أولم يتفكروا فى أنفسهم ﴾ ... (سورة الروم)

﴿ كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون ﴾ ...
(سورة البقرة)

﴿ أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ﴾ ...
(سورة سبأ)

﴿ قل هل يستوى الأعمى والبصير أفلا تتفكرون ﴾ ...
(سورة الأنعام)

﴿ كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون ﴾ ...

(سورة يونس).

﴿ ... الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السماوات والأرض ﴾ ...

(سورة آل عمران).

﴿ فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ﴾ ...

(سورة الأعراف).

﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزّل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾ ... (سورة النحل).

﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾ ...

(سورة الحشر).

وهكذا ... وهكذا ... فى آياتك الكثيرة يارب دعوة إلى التفكير ... وخلقتَ لنا آلة للتفكير ... فلم نستخدمها كثيراً ... واكتفى أكثرنا بالتلقين ، دون تفكير ... واستخدم بعضنا التفكير داخل جدران التلقين ...

ولم يعملوا بقول رسولك ﷺ : « لا عبادة كتفكر » ...

لأن التفكر إذا أدى إلى معرفتك الحقيقة ، وليست فقط المعرفة التلقينية ، فقد أصبح عبادة ... لأن العبادة فى جوهرها هى معرفة قدرتك ، وتقديرك حق قدرك ... وهذه المعرفة العليا لا يكفى للوصول إليها حفظ وترديد العبارات الملقنة ... ولقد قالها الرسول صلوات الله عليه :

« وهل ينفع القرآن إلا بالعلم ؟ ! » ...

وقد جاء فى قرآنك الكريم : ﴿ ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ... ﴾ ... حقاً يا ربى ! ... وهل لو تحولت الأشجار إلى أقلام والبحار إلى مداد يمكن أن نكتب بها كل عجائب صنعك ؟ ! . وهل يمكن لكل ما عندنا من فكر يتجدد بتجدد العلوم والأزمان أن يصل إلى بعض ما عندك من أسرار خلقك ؟ ! . ما نحن إلا بشر ضعيف فوق كوكب صغير خلقت مثله بقدرتك غير المحدودة ما لا حصر له من ملايين

الـكواكب والشموس ... وأنت وحدك الأعلم بما خلقت. فيها من مخلوقات ،قد تـكون أقوى منا إدراكا ... ولقد سلحتنا من فضلك بسلاح الفـكر لندفع به عنا شر الأقوى من وحوش الأرض ، وشر الأذكى من مخلوقاتك فى كوكب آخر قد يهدد بقاءنا ... ولا بد لذلك من فـكر متجدد يتسع ويرتفع لإدراك بعض أسرارك المعجزة ...

ولقد قمتَ يا ربى بتدريبنا وتوسيع مداركنا البشرية على مراحل ... بدأت المرحلة الأولى فيها بأداة « اللغة » المعروفة للناس ، بكلام مبين موحى به منك ، ليس فيه تفصيلات علمية لا يدركها بعد عقلنا البشرى فى تلك المرحلة ، ولـكن فيه إشارات لذوى الألباب ... وأنت يا ربى تعرف مواقيت المراحل القادمة التى يستطيع فـكرنا أن يقترب فيها خطوات من المعرفة التى أردتَ لنا بها أن نـكشف شيئاً من أسرار خلقك ، وهيأت لنا فيها لغة أخرى صالحة لذلك هى لغة القوانين العلمية والمعادلات الرياضية التى يمـكنها الـكشف عن

تركيب الذرة وتكوينات العناصر فى أنواع خلقك ...
ولذلك لا بد لرجل الدين المتعمق أن يعرف هذه اللغة العلمية
ليزداد معرفة بالله وقرباً من أسرار خلقه ...

وحتى فى هذا فطن عالم مؤمن مثل « أينشتين » إلى
ما جعله يقول إن العلم الذى يمارسه هو أيضاً نابع من نوع
من الإلهام الإلهى ...

لقد علّمنا الله فيما علمنا بعض أدوات العلم الذى أراد لنا
التقدم فيه ... من ذلك « مبدأ السببية » ، أساس العلم ...
فهو تعالى وإن كانت إرادته هى العليا ، ويكفى أن يقول
للشىء : كن فيكون ... إلا أنه أراد أيضاً أن يعلمنا أن
الإرادة — حتى إرادته أحياناً — تكون على أساس السبب
والمسبب ، كما جاء فى قوله تعالى : ﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية
أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها
تدميراً ﴾ ... وكان من الممكن أن يكتفى بالإرادة ، ويقول :
« وإذا أردنا أن نهلك قرية دمرناها تدميرا » ... ولكن

الله تعالى أراد بحكمته وعلمه أن يقول لنا : فلتكن لكم إرادة ، ولكن لتكن هناك أيضاً الأسباب التى توصل إلى تحقيق هذه الإرادة ... والله أعلم ...

ومهما يكن من أمر فقد أرانا الله تعالى الفرق بين الإرادة وبين الأسباب الموصلة إلى تحقيقها ... كذلك « معرفة الله » وهى الهدف الأسمى من « العبادة » ، ثم طريق الوصول إلى هذه « المعرفة » وهو « الفكر » ...

ويجب أن نفرق بين « العلم الصرف » الذى يقربنا إلى معرفة الله ، والعلم التطبيقى « التكنولوجيا » الذى هو المسئول عن القنابل الذرية والإنسان الآلى والقلق الحضارى ... وقد سبق أن ذكرت ذلك فى بعض المؤتمرات الأوروبية ... ومسئولية إنقاذ البشرية تقع اليوم على رجال الفكر بالتعاون مع رجال الدين على دعم القوى الروحية ... وإن كان الاتفاق على معنى واحد لكلمات : « القوى الروحية » و « الفكر » و « العلم » و « الثقافة » ليس

من الميسور دائماً عندنا . وهو ما يؤدى إلى سوء الفهم واختلاف الأحكام ...

كذلك فى « الدين » على وجه العموم : هنالك من يرى فيه الغرض الأصلى وهو «الوصول إلى الله» ، وهناك من يراه فى « الشعائر » و « الطقوس » ... وهناك من يتبع بكل دقة الشعائر التى أمر بها الله تعالى ولا يعتبر أنه قد وصل ... إنما هو اتبع الطريق الذى أراده الله للوصول إليه لأنه السلم الذى يرتقى عليه ...

إنما الوصول ذاته هو القمة ... وهى معرفته وحبه تعالى ... وحب الله ليس هو الحب الذى نعرفه من البشر للبشر ... لأن الحب البشرى له أسبابه وأعضاؤه التى خلقها الله لنا وبها ... والله ليس بشراً مثلنا ؛ فهو « ليس كمثله شىء » ... إذن « حب الله » هو : « حب نوره » ، ونوره تعالى ليس مصدره القلب وحده ... ولا العقل وحده ... ولكنه فى كل ما يضىء كياننا البشرى ويرفعنا لنسمو على أنفسنا ...

وأخيراً ... فإن من واجبي أن أنبه إلى خطر أخشى استفحاله يتعرض له الإسلام وأهله والفكر وأهله من انتشار « الغوغائية » ، وهي القوة الغاشمة التي تقوم على مجرد الإشاعة ونبذ « التفكير » ... التفكير الذي أوصى به الله تعالى ورسوله صلوات الله عليه ... وكان أن قام نفر اتخذ من « الغوغائية » البعيدة عن « التفكير » سلاحاً للسيطرة على العقول ... وكان من أثر ذلك ما تعرض له في الإسلام أمثال « ابن رشد » و « ابن سينا » من اضطهاد ، وفي المسيحية أمثال « جاليليو » و « كوبرنيكوس » ... وكانت الحجة التي في يد قادة « الغوغائية » هي دائماً : الدفاع عن الدين ضد الإلحاد ... وتتكفل الإشاعة بالباقي ... فإذا كل من اتجه إلى « التفكير » في دين أو علم قد حاصرته « الإشاعة » وطاردته ...

والإســـلام اليوم في نهضة تحتاج إلى فهم صحيح لكتاب الله الكريم وحديث رسوله الشريف ... وأسلوب القرآن مبين ، وحديث الرسول واضح ... ولكن

« الإشاعة » لا تقرأ ولا تفكر ... وفى هذه « الأحاديث الأربعة » « مع الله وإلى الله » أطلقت « الإشاعة » القول بأن المؤلف تجرأ وتطاول على الله تعالى بمخاطبته ... ولو قرأوا القرآن بعناية وفكر لوجدوا الله تعالى يخاطب الإنسان بقوله تعالى : ﴿ يأيها الإنسان ما غرك بربك الكريم ﴾ . (سورة الانفطار)

وبقوله تعالى يخاطب الناس : ﴿ يأيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيباً ﴾ . (سورة البقرة)

وقوله تعالى : ﴿ يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ﴾ (سورة النساء)

وقوله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ﴾ . (سورة الصف)

بل إن الله تعالى يخاطب الكافرين أيضاً فى قوله : ﴿ يأيها الذين كفروا لاتعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون ﴾ (سورة التحريم) .

أما الإنسان فهو أيضاً يخاطب ربه ... كما جاء فى القرآن الكريم : ﴿ ربنا آتنا من لدنك رحمة وهىء لنا من أمرنا رشدا ... ﴾ . (سورة الكهف)

وكما جاء فى كتابه الكريم ﴿ ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين ... ﴾ (سورة الأعراف)

أليس فى كل هذه الآيات مخاطبة الله تعالى للإنسان والناس والمؤمنين والكافرين ... كما أن فيها مخاطبة من الإنسان والناس لله سبحانه وتعالى ؟ ! ...

اللهم احفظ الإسلام ممن يسىء فهمه وفهم المؤمنين به ... واعف عنا واغفر لنا وارحمنا ؟

توفيق الحكيم

رمضان ١٤٠٣ هـ
يونيه ١٩٨٣ م

الإسلام

عند توفيق الحكيم

على أثر مانشر للأستاذ توفيق الحكيم من كتابات حول الإسلام أثارت الجدل سأل بعض القراء عن مدى اتصال توفيق الحكيم بالإسلام. ولما كانت مكتبة الآداب وصاحبها على حسن وأولاده هى الملتزمة بنشر مؤلفاته منذ أكثر من خمسين عاماً. وكان أول كتاب تنشره عند بدء اشتغال صاحبها بالنشر هو كتاب من تأليف توفيق الحكيم، حتى أصبحت مؤلفاته أكثر من مائة مؤلف فى مختلف الآداب والفنون، ومنها كتب متصلة بالدين والإسلام. فقد رأت من واجبها الإجابة عن هذا السؤال :

١ — بدأ اتصال توفيق الحكيم بالدين وبالإسلام منذ عهد الطفولة والصبا فى الكتاتيب التى كانت تحفظ القرآن للصبية الصغار، على نحو ما ذكره فى سيرته الذاتية : « سجن العمر ».

٢ — ثم تأتى مرحلة الاتصال العلمى، وقد كانت فى مدرسة الحقوق من عام ١٩٢١ إلى عام ١٩٢٤، حيث تلقى الشريعة الإسلامية على يد الشيخ زيد، وهو العالم الثقة الذى اشتهر فى ذلك العهد بأن على يديه تلقى الشريعة كبار رجال مصر المعروفين فى تاريخ القضاء والسياسة.

٣ — ثم جاءت مرحلة التأليف فى السيرة النبوية ، حيث أسهم فى هذا المجال أهل الفكر والأدب من رجال عصر التنوير الذى أشرق على أثر ثورة ١٩١٩ . وقد رأى أدباء هذا العصر أن القرآن مصدر نور إلهى وإنسانى ، ومنبع أدب وعلم وفكر لا بد أن يستمدوا منه الإلهام وأن يعملوا فى حقله المزهر الخصيب إلى جانب علماء الدين المتخصصين . فكان أن ظهرت مؤلفات إسلامية فذة مثل « حياة محمد » للدكتور هيكل و « على هامش السيرة » للدكتور طه حسين ، و «عبقرية محمد» لعباس محمود العقاد . و « محمد » الرسول البشر لتوفيق الحكيم ، جعل منهجه فيه الاعتماد الكلى على الأحاديث المعتمدة ينطق بها الرسول وصحابته وكل من ورد ذكره فى الكتاب . ولذلك عكف على دراسة هذه الكتب المعتمدة وهى على سبيل الحصر : سيرة ابن هشام وتفسيرها للسهيلى ، وطبقات ابن سعد ، والإصابة لابن حجر ، وأسد الغابة لابن الأثير ، وتاريخ الطبرى ، وصحيح البخارى ، وتيسير الوصول ، والشمائل للترمذى وللبيجورى . وقد قرّظ هذا الكتاب أعلام العصر ومنهم : « مصطفى صادق الرافعى » صاحب « إعجاز القرآن » الذى وصفه سعد زغلول بأنه تنزيل من التنزيل .

وتبنى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية طبع النسخة الإنجليزية لكتاب « محمد » لتوفيق الحكيم وتوزيعه فى أنحاء العالم وذلك ضمن سلسلة « دراسات فى الإسلام » .

٤ — ثم استمرت كتابات توفيق الحكيم فى الإسلام ، فجاءت مقالاته

فى كتابه : « تحت شمس الفكر » ١٩٣٨ مثل « الدفاع عن الإسلام » و « منطقة الإيمان » و « نجم أحمد » و « سر العظمة عند محمد ﷺ » و « جوهر الدين » ... الخ الخ .

٥ — وفى كتابه « فن الأدب » أفرد باباً للدين كتب فيه فصولا رائعة تحت عناوين « معجزة الدين » ، و « الحقيقة الكاملة » و « ثورة العقل » و « الماء الحى » و « الإيمان بالحياة » و « السماء هى المنبع » .

وتوالت مؤلفاته فى شتى دروب الفكر الإنسانى ملتزمة برسالة ترقية الإنسان والإصلاح الاجتماعى ، وقد أكد فى كل ذلك على الدور الجوهرى الذى يلعبه الدين والنواحى الروحية فى تحقيق الهدف المنشود .

٦ — ثم كتابه الضخم « مختار تفسير القرطبى » الذى قال فى تصديره : « إن ضرورته هو ما نراه اليوم من الاهتمام المخلص بالدين مما يقتضى الرجوع إلى المنبع الأصلى للشريعة . ولما كانت المراجع مثل « تفسير القرطبى الجامع لأحكام القرآن » المشهور بأنه من أجل التفاسير وأعظمها نفعاً يبلغ من الضخامة فى مجلداته العشرين ما تشق قراءته على أكثر الناس ، فقد رأيت أن أقوم بمثل ما قام به صاحب «مختار الصحاح» للتيسير على الناس باستخراج مختار فى مجلد واحد للجامع لأحكام القرآن. وقد حرصت فيه على ما سبق أن حرص صاحب مختار الصحاح فى مختاره من الاقتصار على ما لا بد لكل متدين ومسلم وقارىء للقرآن من معرفته وحفظه لكثرة استعماله وجريانه على الألسن » .

٧ — وأخيراً كتابه « الإسلام والتعادلية » الذى وضح فيه أن الإسلام يقوم على الإيمان بوجود الدنيا ووجود الآخرة ، ولكل وجود شأنه المستقل ، فالدنيا وجود يعمل فيه الإنسان كأنه يعيش أبدا ، والآخرة وجود يعمل له الإنسان كأنه يموت غداً . لا طغيان لأحدهما على الآخر إلى حد الإفناء والإلغاء . وأن ما يميز الإسلام هو الاعتدال بعدم الغلو والتطرف والإسراف .

* * *

وقد استأذنا الأستاذ توفيق الحكيم فى نشر هذه البيانات تذكيراً للقراء بسابق اطلاعه وعطائه للفكر الدينى من قديم . وهو القائل : « إن الدين مصدر أساسى من مصادر الفكر والإلهام للأديب والمفكر والفنان ، وخاصة فى الإسلام حيث يقول تعالى : « وتفكروا يا أولوا الألباب » .

ولا ينتقص فى هذا الوضع ما يحدث لبعض المفكرين وكتاباتهم من نقد ومن اختلاف فى الرى ومن حساسيات للبعض من أسلوب أو منهج ...

« ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين » . .

الناشر

مكتبة الآداب (على حسن) .

ترجمة رسالة ألفريد كاستلر إلى توفيق الحكيم :

يسألنى الأستاذ توفيق الحكيم عن رأيى فى العلاقة بين العلم والدين ؛ لا أظن أن هناك تناقضاً بين هذين النشاطين النفسيين للإنسان ؛ بل إن ما بينهما علاقة « تكاملية » .

كل من « العلم » و « الدين » ذو طابع ومجال متميز : العلم مجاله المعرفة ودراسة كل ما تدركه حواسنا ، أما الدين فمجاله الإيمان .

ولقد كان هناك على الدوام علماء مؤمنون وعلماء ملحدون .

وليسمح لى الأستاذ الحكيم أن أعلق على عبارة له عن « العلم الملحد للقرن التاسع عشر » ، أعتقد أنه لم يعد من الممكن أن نصم معرفة القرن التاسع عشر بالإلحاد ؛ فلقد شهد ذلك القرن تطور اتجاه فلسفى هو « المادية العلمية » تأسس على نتائج لم يتم العلم اكتشافها بعد ، ولقد استخلص البعض من ذلك عدم وجود الله ، ولكن ذلك كان وهماً .

إن وجود إله ، خالق للكون لا يمكن أن يثبت أو ينفى بالطريق العلمى . ذلك أن العلم ليس دينيا ولا ضد الدين ، العلم لا دينى بمعنى أن ليس له صفة دينية . فالعلم يحاول تفسير الوجود بناء على « مبدأ السببية » . أما المؤمن فإنه يؤكد وجود « مبدأ الغائية » كتفسير للكون .

هذان المبدءان المتكاملان غير المتناقضين قد تقبلتهما الإنسانية بالرضا ؟

ألفريد كاستلر

١٩٧٧

(ترجمة الناشر)

تصويب الخطأ المطبعي

الصفحة	السطر	خطأ	صواب
١٨	الأخير	قرأوها	قرءوها
٣٠	الأول	يعظم	يعظمهم
١١٣	٦	أنظر	انظر
١٣٤	٩	أكتب	اكتب
١٣٤	١٤	لأنقصك	لأنقصنك
١٤٠	٩	ادعوهن	ادعهن
١٤٥	١١	اوالجلال	والجلال
١٤٦	١٢	(السواك والمشط)	(السواك والمكحلة والمشط)
١٦٠	١٠	السماوية	السماوة
١٧٦	١٠	(وتفكروا يا أولوا الألباب)	(وما يذّكر إلا أولو الألباب)

فهرست الكتاب

الموضوع	صفحة
كتب للمؤلف نشرت باللغة العربية	٥
كتب للمؤلف نشرت فى لغة أجنبية	١٠
تقديم الأحاديث الأربعة	١٧
الحديث الأول	٢٣
الحديث الثانى	٣٧
الحديث الثالث...	٥٥
الحديث الرابع	٧١
أنا مسلم ... لماذا ؟	٨٩
هوامش الأحاديث والقضايا الدينية التى أثارتها	١٠٧
خاتمة الكتاب	١٦٣
الإسلام عند توفيق الحكيم	١٧٣
ترجمة خطاب ألفريد كاستلر إلى العربية	١٧٧
تصويب الخطأ المطبعى	١٧٩
ترجمة مقدمة الكتاب باللغة الإنجليزية	3
خطاب من ألفريد كاستلر إلى توفيق الحكيم ...	7
كلمة الناشر باللغة الإنجليزية	13
مراجع بلغات أجنبية عن فكر المؤلف	17

— Schoonovet K.
" Tawfik Al- Hakim "
(Muslim World 1955)

* * *

— Papadoboulo A.
" Tewfik Al- Hakim et son oeuvre "
(Etudes Méditerranéènnes 1959)

* * *

— W. M. Hutchins
" Plays , Prefaces & Postscripts of Tawfiq Al- Hakim " Vol. 1 Theatre of the Mind.
(Three Continents Press 1981 U. S. A.)

— K. O. Yonuzov
" Taoufika Al– Hakima Bibliografitcheskii Ukazateli "
(Le Livre , Moscou 1968)

* * *

" Dramaturgia Taoufika Al Hakima "
(Le Livre , Moscou 1976)

* * *

— Landau J.M.
" Al– Hakim , The Arab Theatre "
(Philadelphia , 1958 U.S.A.)

* * *

— Nahman Bar-Nissim
" Tawfik Al– Hakim The Dramatist "
(Pennsylvania University U. S. A.)

* * *

— Richard Long
" Tawfiq Al– Hakim "
(London : Ithaca Press 1939)

* * *

For Further Reading

— Aly Moh. Hamed

" Philosophical Concepts in Five Plays by The Egyptian dramatist Tawfik Al-Hakim "

(Denver University , 1968)

* * *

— Barbour N.

" An Egyptian Novel "

(Islamic Culture , 1935)

* * *

— Gabrieli Fc.

" Studia et acta Orientalia "

(Arabo Teatro , Roma 1954)

* * *

- Jean Fontaine

" Mort Resurrection, Une lecture De Tawfik Al- Hakim "

(Ph. D. Bouslama–Press Tunis, 1978)

Al-Hakim's works count for more than one hundred .. over sixty plays, two, poems, two autobiographies, and it is difficult to count his serious essays, short stories and novels.

W.M. Hutchins (1) quotes in his documentary introduction : "In his comments about his work he has described, himself as an Easterner and therefore a spiritual playwright, a social critic and therefore a reformist playwright and a pioneer and therefore a diverse playwright".

M. & A. Aly Hassan

---

(1) Plays, Prefaces and Postscripts of Tawfik Al-Hakim Vol. 1 – Theatre of the Mind (Three continents Press, 1981 U.S.A).

he created a corresponding power : Which is the power of the devil, just to make the human life variable and dynamic. "He wrote.

Tawfik Al-Hakim condensed the most important Islamic book "Tafssir ALKORTOBY" (30 volumes) into one volume including the most important Islamic ideas.

As late as 1977, he felt the need for an Islamic rebirth ... he watched the scene in the area. A new Islamic approach completed his theory of Equilibrium.

It was easy for him to find similar hypothesis in Islam, though he criticized some classical exegesis of the Quranic verses. Islam is suitable for all places and all times, but only if we add present thoughts and evolutions ... this will pave the way for future conclusions.

"With and to Allah" is a new and strange means to be accepted by Moslim fundamentalists nowadays. Therefore his "Four Soliloquies" with Allah, in early 1983, aroused tremendous controversy.

Critics expressed their fears from the possiblity of such a means of argumentation and the ideas as well.

Al-Hakim went deep in analysing the humanity of prophets, the limits of man's thinking and the need for cooperation between all human beings neglecting their beleifs or religions. We need all efforts to be closer to reality, to work out our needs for a better life, and finally to sense our being.

the year One Million", 1953, and between Science and Art" in "Voyage to Tomorrow", 1957.

Al-Hakim is of the opinion that religion is a main source of thought and inspiration to the man of letters, the thinker and the artist. While "The Sleepers of Ephesus" is based on a Quranic story; (1). "Oedipus" is a new adaptation of Greek tragedy reflecting his eastern view regarding mythology, philosophy and theology.

His book "Muhammad the Messenger, the human" 1936, is a documentary account of the prophet's life. It is translated into English and published under the auspices of the Supreme Council of Islamic Affairs ...

In 1938 Al-Hakim outlined in his essays the meshing of the work of mind with heart feelings. These essays are entitled "Under the Sun of Thinking" ... a considerable part of the book is devoted to beleif, religion and its relation to the creative work. Art and religion occupy a great part in his book "The Art of literature" published in 1952. It is amazing to read such chapters as "The Whole Truth", "Revolution of the Mind", "The sky is the Source", Beleif in life" and "the living Water".

" Equilibrium " 1955, is the masterpiece work of mind, where Al-Hakim balanced the contradictions of his philosophical equation. "Allah Alone is the only One, the perfect One. However through his Almighty will,

(1) Or Sura with the same title.

A LETTER BY THE PUBLISHER

"Man's sense that he is not alone in existence". So did Tawfik Al-Hakim started his journey with the comprehensive belcif.

In early chidhood he received his Islamic education in "Kuttab" (1) where he recited the Quran. During his study of law, sheikn Zaid, the eminent professor of Islamic Jurisprudence, inspired his mind with the theory of human rights in Islam and its philosophy

In fact two main factors influenced Al-Hakim's thought and literature : the first is his comprehensive and deep reading of the Arabic and Islamic traditions together with the liberal Islamic writers starting from Sheikh Mohammad-Abdou up-to Al-Maraghy. The second factor is his grasp of the western civilization as a result of his stay in Paris in the twenties.

All these factors shaped his thought and as a result he expressed his ideas concerning the conflict between the fact of the heart vis-à-vis, the truth of the intellect.

This led him to diverse conflicts such as that between Man and Time in "The Sleepers of Ephesus" 1933, and that between the Reality and the Truth in "Oedipus", 1949. Between Science and Religion, "In

---

(1) A sort of pre-elemantry Islamic school.

Le croyant affirme la présence dans l'univers d'un "principe de findité".

Ces deux principes complémentaires et non contradictoires ont été concus par l'esprit humain.

Alfred Kastler

Mr. Tawfik Al-Hakim a demandé mon opinion sur les relations entre science et religion. Entre ces deux activités spirituelles de l'homme je ne pense pas qu'il y ait contradiction. Elles sont dans un rapport de "complémentarité". Science et religion se situent sur des plans différents de l'activité spirituelle. La science est du domaine du savoir, de l'étude des faits accessibles à nos sens. La religion est du domaine de la foi. Il y a eu de tous temps des scientifiques croyants et des scientifiques incroyants.

Je voudrais me permettre de critiquer une expression employée par M. Al-Hakim;Il parle de la science athée du siécle précédent. Il ne me parait pas possible de caractériser ainsi la science du 19 ème siécle. Ce siècle a vu le développement d'une tendance philosohique appelée « Matérialisme Scientifique » se fondant sur des résultats encore bien incomplets de la science, certains esprits ont cru pouvoir en déduire l'inexistence de Dieu. C'est la une illusion.

L'existence de Dieu, d' un créateur du monde, ne peut être ni démontrée ni infirmée par la science.

La science n'est ni religieuse. ni antireligieuse. Elle est areligieuse, elle tente d'expliquer l'évolution du monde par le "principe de causalité".

siècle : Ce siècle a vu le développement d'une tendance philosophique, appelée « matérialisme scientifique. » Se fondant sur des résultats encore bien incomplets de la science, certains esprits ont cru pouvoir en déduire l'inexistence de Dieu. C'est là une illusion. L'existence de Dieu, d'un créateur du Monde, peut être ni démontrée ni infirmée par la Science. La Science n'est ni religieuse, ni anti-religieuse. Elle est areligieuse. Elle tente d'expliquer l'évolution du Monde par le « principe de causalité ». Le croyant affirme la présence dans l'univers d'un « principe de finalité ». Ces deux principes, complémentaires et non contradictoires, ont été conçus par l'esprit humain. Alfred Kastler

M. Tewfik Al-Hakim a demandé mon opinion sur les relations entre Science et Religion. Entre ces deux activités spirituelles de l'homme je ne pense pas qu'il y ait contradiction. Elles sont dans un rapport de „complémentarité." Science et religion se situent sur des plans différents de l'activité spirituelle. La science est du domaine du savoir, de l'étude des faits accessibles à nos sens. La religion est du domaine de la foi. Il y a eu de tout temps des scientifiques croyants et des scientifiques incroyants.

Je voudrais me permettre de critiquer une expression employée par M. Al-Hakim. Il parle de „la science athée du siècle précédent." Il ne me paraît pas possible de caractériser ainsi la science du 19e

D' Alfred Kastler à Tawfik Al-Hakim :

Sa lettre : Son écriture et sa signature :

Allah the Almighty is the Greatest, his knowledge is wider, his mercy is deeper and his forgiveness is broader.

Tawfik Al-Hakim

Shaaban 1403, A.H.

May 1983

Translated by : H. H. Mayyas, Ph. D. Ling.
Al-Azhar University

Revised by : J. Cochran, Ph. D. English
Texas University

tists are of the opinion that all the human elements concerned with man's mental and emotional activities, whether being religious, scientific thought, literature, art and culture, and which cope with the changing times, must participate in shaping the nation's mentality as long as Islam is suitable for every time and place.

The main dispute between some sheikhs and men of contemporary thought is : these sheikhs depend only on the science and culture that were available in the age of Prophet Muhammad and according to their own criteria. Whilst the men of thought depend also upon them and add the recent achievements in science and culture.

The tradition of our forebears is but the product of human minds and hearts lived during cultural findings different from ours due to the additions of our renewable life.

Therefore, we should not confine ourselves only to these early findings and make them curb our thinking, or make them a limit beyond which we can not exceed. Thus making us turn for hundreds of years in a vicious circle around one age as if Islam were not suitable except for that age with its ideas and circumstances.

We have not to base our ideas only on the first age of Islam and forget that Islam is suitable for and suits all the times because it is flexible and suits life and progress in all the ages, times and places.

I also traced the authenticity of the "Ahadeeth" (1) and ideas mentioned in the four essays because they were described by some eminent Sheikhs (2) as being concocted, weak or non-existing. I went back to the sources from which I got them and became sure that all are authentic and are in the majority of the trusted Islamic sources.

The matter at issue which must be seriously discussed is :

Some savants of religion insist on being the sole shapers of the nation's mentality on the bases of the religious informations they themselves learned from the books they consider authentic only in the light of the parts they have read and approved ... they read them in their own way, i.e, isolated from any up-to- date knowledge and contributions.

At the same time they do not permit others to lead and shape the people's mentality on the bases of contemporary science and culture unless they approve and supervise, whereas they themselves are isolated from the dynamism of thought in its successive times, and without distinguishing between what is stable in religion and what is renewable with the change of time and place.

At the same time we find that thinkers and scien-

(1) Sayings of Prophet Muhammad. (Translator).

(2) The "sheikh" is the Islamic man of religion.

FOUR SOLILOQUIES WITH ALLAH AND THE RESULTING RELIGIOUS DEBATE

This book "The four soliloquies" includes the four essays published under the title "With and to Allah" and which aroused the well known controversy. These four essays are but a type of soliloquy with Allah the Almighty ... in my special style and according to my culture, expressing my sincere love to Allah.

I do not accept the thought emerged from others without thinking, and also do not take for granted their concepts and ideas which my mind, created for thinking, cannot comprehend and digest.

I do not accept what comes out from the hearts and minds of others without contemplation and thorough testing.

This controversy is but temporary and alien regarding the issue I will discuss in detail due to its importance.

In collecting these four essays in this book, I have decided to delete all the words and lines written as attributions to Allah, putting into consideration the religious sensitivity which I do not want to disturb any believer.

TAWFIK AL HAKIM

THE FOUR SOLILOQUIES

AL-ADAB PRESS

42 Opera Square Cairo

Tel: 920868 919377

TAWFIK AL HAKIM

THE FOUR SOLILOQUIES

AL-ADAB PRESS
42 Opera square Cairo
Tel: 920868 919377